المنهج الأنثروبولوجى والدراسات الكيفية
دراسة الجريمة نموذجًا

إعداد

نادية عبد القادر محمد مرسى

مدرس بقسم علم الاجتماع – تخصص الأنثروبولوجيا

كلية البنات جامعة عين شمس

نادية عبدالقادر محمد مرسي (2024). المنهج الأنثروبولوجى والدراسات الكيفية دراسة الجريمة نموذجًا. حولية كلية الآداب جامعة بني سويف.- المجلد13.ج1.- ص ص 603 – 664

المستخلص:

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على التطورات التى مرت بها المناهج الكيفية في إجراء الدراسات الميدانية، وخاصة المنهج الأنثروبولوجى الذى يتسم بدراسة عدد محدود من المجتمعات المحلية، ولكن مع تطور البحث العلمى ومناهجه أصبح من الممكن أن يتم إجراء مسوح على عينات كبيرة من هذه المجتمعات، فيما يعرف (بالدراسة الأنثروبولوجية الشاملة للمجتمع) ليس من خلال استبيانات وإحصائيات، بل باستخدام دراسة الحالة، والمقابلات المتعمقة، والملاحظة، وغيرهما. وجاءت فكرة البحث من رسالة

الدكتوراة للباحثة عن (الجريمة في الريف المصرى بين الضبط الاجتماعى والواقع: دراسة أنثروبولوجية لبعض قرى محافظة الشرقية، ٢٠١٥)، فكانت الدراسة الميدانية في ٢٥ قرية (المسح) منهم ٣ قرى (العمق)، وتم تنميط القرى إلى: شبه بدوية، تقليدية، شبه حضرية.

وتوصل البحث إلى نتائج عديدة منها: أن المنهج الأنثروبولوجى بأدواته ووسائله يعد من أقدر المناهج الكيفية في تحقيق معايشة الباحث في الميدان وجمع بيانات غزيرة على نطاق واسع. ومكن هذا المنهج من رصد أنماط عديدة من الجرائم التى وقعت في القرى خلال فترة (٢٠٠٩ – ٢٠١٣)، حيث الانفلات الأمنى أثناء الثورة ومن الصعب الحصول على إحصاءات رسمية عن الجريمة أو رصدها من السجون والشرطة، ولكن هذا المنهج ساعد الباحثة على رصد الجرائم من أفراد على صلة وثيقة من أطرافها. مما يؤكد قدرته وتطوره في إجراء الدراسات الميدانية الكيفية والحصول على نتائج أكثر دقة وعمقًا.

الكلمات الدالة: الدراسة الكيفية – المنهج الأنثروبولوجى – الجريمة

مقدمة:

تعد البحوث والدراسات الكيفية احدى متطلبات التطوير المنهجى في الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع. وتتحدد قيمة هذه البحوث فيما تسعى إليه من أهداف لعلاج المشكلات والظواهر التى يعانيها المجتمع وتستهدف تقدمه وتطوره، بحيث لا تنعزل تلك البحوث عن واقع المجتمع ومشكلاته؛ لذا تظهر العديد من الدراسات والبحوث محاولة تحليل وتفسير هذه الظواهر والتحكم فيها خدمة للمجتمع. (لطاد، وآخرون، ٢٠١٩، ص.٤٢) وتقوم هذه الدراسات على الاستعانة بمناهج علمية مناسبة في تقصى الظاهرة محل الدراسة. وتعد الدراسات الأنثروبولوجية من الدراسات الكيفية (الحقلية) التى تهتم باستخدام مناهج بحثية تتسم بالشمولية وتفتح آفاقًا للبحث العلمى من خلال الغوص في أعماقه والتغلغل في ثناياه، رغم تشابك وتداخل متغيراته، محاولًا الوصول لفهم أعمق وأدق للظواهر المدروسة. (بن عمروش، ٢٠٢٠، ص.٢٩٣)

وتعد مناهج الدراسات الكيفية من المناهج القيمة؛ لاكتشاف الكثير من المعلومات عن الموضوعات التى لا تتوافر عنها معلومات كافية، وللخوض في القضايا الشائكة ومع الفئات المهمشة. وتكون الدراسات الكيفية مصممة للفهم المتعمق للقضايا المركبة، مثل: القضايا الاجتماعية والثقافية والاقتصادية. وتستخدم لفهم أفراد المجتمع من حيث: معتقداتهم، وشعورهم وانطباعاتهم، وثقافتهم، وخبراتهم، واحتياجاتهم. (مخيمر، ٢٠١١، ص.١٦٩) والبحوث الأنثروبولوجية – كأحد أنواع الدراسات الكيفية – تعنى في المقام الأول بالفهم الذاتى للظاهرة ويعطى الباحث قدرًا واسعًا من الحرية والمرونة والقدرة على التكيف مع الظروف والأوضاع الطارئة، وأخذ زمام المبادرة لتوجيه الدراسة لمتابعة البحث وفق التطورات المستجدة، وكان يقتصر مجال الدراسة فيها على دراسة مجموعات صغيرة وقليلة من الجماعات والمجتمعات، وتعتمد على مهارة الباحث المهنية وقدرته على كسب ثقة الأفراد. (غدنز، ٢٠٠٥، ص.٦٨١)

ومع تطور الأنثروبولوجيا واهتمامها بدراسة قضايا معاصرة وظواهر أكثر تعقيدًا – كالجريمة خاصة في الريف – ودراستها بشكل أكثر اتساعًا على نطاق أكثر من مجتمع محلى، فإنها تسهم في تطوير المنهج الأنثروبولوجى الذى يتسم بالشمول، حيث المرونة والاستفادة من الأساليب والمناهج الأخرى في إجراء الدراسات الكيفية.

أولًا: مشكلة البحث

يؤكد "مايرينغ" أنه لا يوجد موضوع أكثر أهمية للعمل العلمى وتحقيق نتائج بحث صحيحة أكثر من موضوع مناهج البحث المناسبة، كما أنه لا يوجد موضوع في العلوم الاجتماعية والإنسانية يحتوى على اختلافات في الرأى أكثر من منهجية البحث. (دليو، ٢٠٢٢، ص.١٤)، وتأتى أهمية هذا البحث في تسليط الضوء على – ما ذكره الأنثروبولوجيين السابقين في بحوثهم ودراساتهم حول – التطور الذى مرت به الدراسات الأنثروبولوجية الكيفية في مناهجها وطرق جمع بياناتها الميدانية، وبالتركيز على المنهج الأنثروبولوجى الذى يعد

أبرز مثال عن المنهج العملى أو ما يعرف بالمنهج الحقلى الميدانى أو (الإمـــبـــيريقى) في دراســـة الجريمة في الريف. وأهم الأدوات التى تميز هذا المنهج هى: الملاحظة والملاحظة بالمشـاركة، والمقابلة، والإخباريون، ودليل العمل الميدانى. وكذلك أسـلوب (الدراسـة الشـاملة) الذى يندر اسـتخدامه في البحوث الأنثروبولوجية، ولكن اسـتخدمته الباحثة بمسـمى (المسـح الأنثروبولوجى) في رسـالتها للدكتوراه؛ بهدف رصـد أنماط الجرائم التقليدية والمسـتحدثة التى وقعت في بعض القرى من خلال معايشة الباحثة لأبناء تلك القرى.

ومن هنا تبرز مشـكلة البحث الراهن في التعرف على مدى كفاءة البحوث الكيفية من الناحية المنهجية فى دراسـة الجريمة في الريف؛ من أجل تطوير أسـلوب "الدراسـة الشـاملة" أو المسح الأنثروبولوجى الذى قامت به الباحثة بمفردها لإجراء دراسة ميدانية لعدد كبير من قرى محافظة الشرقية.

ثانيًا: الهدف والسؤال الرئيس للبحث

تمثل **الهدف الرئيس للبحث** في عرض وتقييم مدى كفاءة البحوث الكيفية من الناحية المنهجية فى دراســـة الجريمة ســـواء فى علم اجتماع الجريمة أو أنثروبولوجيا الجريمة. وجاء **الســـؤال الرئيس للبحث** كالتالى: ما كفاءة البحوث الكيفية من الناحية المنهجية فى دراســـة الجريمة فى الريف؟ وما انعكاس ذلك على تطوير أساليب المنهج الأنثروبولوجى؟

وتفرع هذا السـؤال إلى الأسـئلة التالية: ما المقصـود بمناهج الدراسـات الكيفية؟ وما التطور التـاريخى الـذى مرت بـه؟ ومـا أنواعهـا وموقع المنهج الأنثروبولوجى منهـا؟ ومـا الموضوعات ومجتمعات البحث التى تستخدم المنهج الأنثروبولوجى؟ وما موقع دراسة الجريمة في الريف منها؟ ما التراث المعنى بتطوير المنهج الأنثروبولوجى؟ ما مناهج دراســـة الجريمة

في الريف في كل من علم اجتماع الجريمة وأنثروبولوجيا الجريمة؟ هل ساهمت الدراسة الحقلية للجريمة في بعض قرى محافظة الشرقية في تطوير المنهج الأنثروبولوجى وأسلوب المسح فيه؟

ثالثًا: المفاهيم الأساسية

١- **المنهج الأنثروبولوجى:** يعتمد في جوهره وتطبيقه على الدراسة التكاملية للمجتمع والنظرة الترابطية بين النظم والأنساق الاجتماعية والسمات الثقافية التى تترابط فيما بينها. (إسماعيل، ١٩٨٢، ص.٥٣٧ – ٥٣٨) ويرتبط بالبحوث الكيفية التى تعتمد أساسًا على الدراسات الميدانية (الحقلية) أو الإمبيريقية؛ لأن دراسة الجانب الاجتماعى أو الثقافى لأى مجتمع يفرض على الباحث التقرب من حالات الدراسة ومعايشتها، ويضع الأنثروبولوجى عامة تصورات الدراسة الأساسية بعد نزوله إلى مجتمع الدراسة؛ حتى لا يصطدم مع واقع لا يعكس ميوله البحثية، أو يقع في تناقضات لا تخدم الدراسة. (خالد، ٢٠٢١، ص.٣٧٦)

وعُرف المنهج الأنثروبولوجى – أيضًا – بأنه الطريقة التى يتبعها الباحث في دراسته للمشكلة موضوع بحثه والتوصل إلى الحقيقة، وقد تميز المنهج الأنثروبولوجى في دراسة الظواهر بأنه ذو نظرة كلية شاملة من خلال استخدامه المنهج التكاملى، الذى يهدف إلى تحديد جميع عناصر الظاهرة المراد دراستها بالنظرة العملية "الإمبيريقية". (غانم، ٢٠١٨، ص.٤٥، ٤٦)

٢- **الدراسات الكيفية:** هى نوع من البحوث العلمية، التى تفترض وجود حقائق وظواهر اجتماعية يتم بناءها من خلال وجهات نظر الأفراد والجماعات المشاركين في البحث، ويعتمد على دراسة الظاهرة في ظروفها الطبيعية باعتبارها مصدرًا مباشرًا للبيانات وتستخدم بياناته الكلمات والصور وليس الأرقام، ويعتمد في جمع بياناته على الملاحظة بالمشاركة وإجراءات المقابلات وفحص وتحليل الوثائق والمقابلة المتعمقة، ويتوجه الباحث في هذا النوع

من البحوث عادة نحو أفراد وجماعات مقصـــودة في جمع البيانات، ويكون دور الباحث فيها متفاعلًا معهم ولكنه يعتمد على الذاتية المنضـــبطة للابتعاد عن التحيز في جمع البيانات وتفســـيرها، ولا يهدف البحث الكيفى عادة إلى تعميم النتائج، بل إلى توســـيع نتائج الحالة المدروســـة لاحتمالات الاســـتفادة منها في حالات ومواقف أخرى. (عرقســـوســـى، ٢٠٢٢، ص.٩٤) ويقوم الباحث بجمع البيانات، ثم يحللها بأسلوب استقرائى، مع التركيز على المعانى التى تحملها الكلمات، أو الأحداث، أو الصـور، فقيمة البحث الكيفى في شـطره الأكبر مرتبط بكفاءة إعطاء معنى للبيانات التى تم جمعها. (حلوش، ٢٠١٤، ص.٣١)

ويتخذ البحث الكيفى عدة أسماء منها: البحث الواقعى؛ لأنه يهتم بدراسة الظواهر في سياقها الواقعى داخل المجتمع، وقد يسمى البحث التفسيرى؛ لأنه لا يكتفى بالوصف بل يتعدى ذلك إلى التحليل والتفســـير، وقد يســـمى – خاصـــة – في مجال دراســـات علم الإنســـان (الأنثروبولوجيا)، بالعمل الميدانى، وأحيانًا بالبحث الإثنوجرافى، **وهناك من يصـــنف البحث الكيفى إلى:** البحث الكيفى التفاعلى: وهو بحث ميدانى يعتمد في جمع البيانات على الاتصال المباشـــر ما بين الباحث والمبحوثين، والبحث الكيفى التحليلى (غير التفاعلى): هو بحث وثائقى تحليلى أو بحث تاريخى. (عرقسوسى، ٢٠٢٢، ص.٩٤، ٩٥)

والجدير بالذكر أن **منهجية البحث الكيفى مفتوحة**، فالتصـــورات المنهجية يتم التخلى عنها إذا لم تتناســـب مع الموضـــوع ومصـــالح المعرفة، ويُســـتخدم في البحوث الكيفية مناهج مختلفة منها: دراســـة الحالة، تحليل المحتوى، أما طرق الحصـــول على البيانات في البحوث الكيفية هى: الملاحظة، المقابلة، الوثائق وغيرها. (حلوش، ٢٠١٤، ص.٣١) وتمثل المناهج الكيفية، العمليات والاستراتيجيات البحثية التى تسمح للباحث الميدانى بأن يحصل على خلفية ثقافية ومعرفية حول الظاهرة المدروســـة، فالبحث الكيفى يعتمد على البعد الذاتى للخبرة

الإنسانية، والباحث جزء من الظاهرة المدروسة يؤثر فيها ويتأثر بها. (أحمد، وموسى، ٢٠١٩، ص.٨٤)

والتعريف الإجرائى للدراسات الكيفية ومناهجها: هو أنها تلك الدراسات الميدانية التى يقوم بإجرائها باحث/باحثين يستخدمون المنهج الأنثروبولوجى مع الاستفادة من المناهج الأخرى مثل: دراسة الحالة ودراسة المجتمع المحلى وغيرها، وتكون أدوات وأساليب جمع المادة من مجتمعات البحث مثل: المقابلة، الملاحظة، الإخباريون، دليل العمل الميدانى، المسح الأنثروبولوجى، وما غير ذلك في دراسة الظواهر الاجتماعية والثقافية كالجريمة في الريف.

٣- الجريمة:

من الناحية القانونية هى: "إتيان فعل أو تركه عن إرادة جنائية إضرارًا بمصلحة اجتماعية حماها المشرع بقواعد تجرمه وتعاقب عليه جزائيًا". (عوض، ٢٠٠٦، ص.٨٢) أما عن الجريمة من الناحية الاجتماعية، فتعرف بأنها: "ظاهرة اجتماعية تنشأ عن اتجاهات وميول وعقد نفسية وعن التأثر بالبيئة الفاسدة، كما قد تنشأ عن نقص جسمى أو ضعف عقلى أو اضطراب انفعالى وتختلف الأفعال التى تجرم من مجتمع إلى آخر". (بدوى، ١٩٩٣، ص.٩٠) ويرى البعض أن الجريمة: "تختلف عن الأنواع الأخرى من انتهاك المعايير أو خرق العادات الاجتماعية؛ لأنها تشتمل على عملية اجتماعية رسمية لمعاملة المجرم وعقابه". (سميث، ٢٠٠٩، ص.٢٥٣) كما يشير المفهوم الاجتماعى للجريمة إلى: "كل سلوك مضاد للمجتمع يكشف عن انحراف عن المعايير والقيم الاجتماعية السائدة والمتعارف عليها داخل الحياة الاجتماعية". (حجازى، وآخرون، ٢٠٠٦، ص.٦)

رابعًا: مناهج الدراسات الكيفية: لمحة تاريخية

تعد الدراســـات الكيفية والكمية من أنواع البحوث الميدانية، وفقًا لتصـــنيف البحوث العلمية حسب المناهج والأساليب المستخدمه. (المحمودى، ٢٠١٩، ص.٢٩ – ٣٠) ولعرض لمحة تاريخية عن مناهج الدراســات الكيفية قامت الباحثة بالاطلاع على بعض أدبيات التراث المعنى بتلك الدراسات والبحوث التى أجريت في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، وبالتركيز على ميدان دراسة الجريمة، ونعرض لها في ضوء أربعة عناصر هى: الأول، أنواع المناهج الكيفية وموقع المنهج الأنثروبولوجى منها، الثانى، طبيعة الموضـــوعات ومجتمعات البحث التى تســتخدم المنهج الأنثروبولوجى وموقع الجريمة في الريف منها، الثالث، الأنثروبولوجيا وتطور المنهج الأنثروبولوجى بأدواته وأســـاليبه الكيفية، الرابع وهو الأخير، المنهج الأنثروبولوجى والتطبيق العملى من الحقل الميدانى إلى الحقل الافتراضى، ونعرض لهما على النحو التالى:

١ – أنواع المناهج الكيفية وموقع المنهج الأنثروبولوجى منها:

تشـــير أدبيات التراث إلى أن التحليل الكيفى ليس من إبداعات حركة ما بعد الحداثة، ولا الســنوات العشــر الأخيرة بخاصــة، فالإرهاصــات الأولى في العلوم الاجتماعية لم تعرف التحليل الكمى، وكانت بدايات علم الاجتماع بالتحليل الكيفى، ليس فقط في أعمال الرواد (سان سيمون، كونت، ماركس)، وإنما في أعمال أعلام مدرسة شيكاغو الكثيرة. وعلى الرغم من ظهور وتنامى التحليل الكمى بعد ذلك، فقد اســـتمر التحليل الكيفى غالبًا لفترة طويلة، ثم أدت تحولات مختلفة إلى أن يرتقى التحليل الكمى إلى موقع الصدارة – ليست هى موضوعنا في البحث الراهن – ولهذا، فإنه ابتداءً من منتصـــف الثلاثينيات من القرن الماضـــى لم يعد للتحليل الكيفى المكانة التى حظى بها لعقود، وظل الأمر على هذا الحال حتى الســـتينيات،

حين استعاد مكانته مرة أخرى بفضل جهود علماء الاجتماع في جامعة شيكاغو. (حجازى، ٢٠٠٧، ص.٢ – ٣)

وفي أواخر السبعينيات دافع "تايلور" عن المناهج الكيفية، وأكد على أن الاستقصاء الطبيعى يعتبر أسلوبًا متقنًا في دراسة الظواهر الاجتماعية. (عرقسوسى، ٢٠٢٢، ص.٩٧) ولكن ذلك لم يدم طويلًا، إذ انخفضت مكانته لبعض الوقت إلى أن جاءت التسعينيات ومعها الصحوة الجديدة له. (حجازى، ٢٠٠٧، ص.٣) مما يعنى أن مناهج البحث الكيفى قديمة جدًّا في العلوم الاجتماعية؛ إذ يرجع العديد منها إلى القرن التاسع عشر، كالمنهج الهرمينوطيقى (التأويل/الفهم) عند "ديلثى وفيبر"، لكن معظم الدراسات المعاصرة ترجعه إلى العقود الأخيرة، وتحصره بالتفاعلية الرمزية والأثنوميثودولوجيا، والحقيقة أن المناهج الكيفية نهضت وتطورت في أوروبا، ولقد أدت هجرة المفكرين الأوروبيين من أمثال "ألفرد شوتز، أدورنو، كارل مانهايم ... وغيرهم" إلى أمريكا، إلى نشأة العديد من المناهج الكيفية وتطويرها، ومنذ بداية الربع الأخير من القرن العشرين كثر الحديث عن المناهج الكيفية بوصفها بديلًا أكثر ملائمة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، وبدأت هذه المناهج تجد قبولًا في المؤسسات الأكاديمية بصورة عامة. (عرقسوسى، ٢٠٢٢، ص.٩٧، ٩٨)

ويشير "فضيل دليو" إلى أن أنواع مناهج البحوث الكيفية هى: تحليل الخطاب، التحليل السيميولوجى، تحليل المحتوى "الكيفى"، التحليل الوثائقى، المنهج التاريخى، منهج دراسة الحالة، المنهج البيوجرافى، المنهج الإثنوجرافى، منهج التحليل المقارن "الكيفى". (دليو، ٢٠٢٢، ص.١٠٤ – ٢٩٩) في حين تشير "أميرة عرقسوسى" إلى أن أغلب مناهج البحث الاجتماعى تُستخدم في البحوث الكمية وفي البحوث الكيفية على السواء، وعلى الرغم من ذلك، فإن هناك عدد من المناهج المستخدمه على وجه الخصوص في البحوث الكيفية وهى:

منهج دراســـة الأعراق (الإثنوجرافيا)، ومنهج دراســـة الظواهر (الظاهراتية)، ومنهج النظرية الكلاسيكية، ومنهج الإثنوميثودولوجيا (منهج الجماعة). (عرقسوسى، ٢٠٢٢، ص.٩٨)

ويشـــير "خالد حجر" إلى أنه برزت مؤخرًا أنواع من المناهج الكيفية – أُطلق عليها التقاليد البحثية الكيفية – في مجال البحث الاجتماعى بشـــتى اهتماماته وميادينه، من أهمها: الفينومنولوجيا (الظاهراتية)، والإثنوجرافيا، والإثنولوجيا البشـــرية (دراســـة الســـلوك الطبيعى البشـــرى)، وعلم النفس البيئى، وتاريخ الحياة، والتفاعلية الرمزية، والنظرية الكلاســـيكية، والاستدلاليات، ويؤكد هذا ما أشارت إليه الأدبيات المنهجية وعلاقتها بالنظرية الاجتماعية من أن المناهج الكيفية تركز على فهم وتأويل النظرية التى يكون الباحث على علم بها قبل تطبيقه للمنهج الكيفى، في حين يقوم المنهج الكمى على اختبار النظرية في ضـــوء اســـتخدامه لفكر المدرســـة الوضـــعية. وعلى الرغم من تداخل وانطماس معالم حدود هذه الأنواع من المناهج الكيفية، فإن لكل منها بؤرة اهتمام تميزه، نوضـــحها كالتالى (حجر، ٢٠٠٣، ص.١٣٦ – ١٣٧، ١٣٨)

أ- المنهج الفينومينولوجى:

يســـعى لفهم التجربة المعاشـــة للأفراد ونواياهم في عالمهم المعاش، وتحاول الإجابة على التســـاؤل ماذا يعنى أن تكون للفرد تجربة ما؟ وذلك من خلال دخول الباحث للواقع المعاش للأفراد واستخدام الذات كأداة تفسيرية، انطلاقًا من الإيمان بأن الاعتقادات الذاتية لدى المبحوثين تتمتع بأولوية تفسيرية تفوق المعرفة النظرية للباحث.

ب-المنهج الاستدلالى:

يسعى لاستخدام تفسيرات التجربة المعاشة للفهم الأفضل للأطر السياسية والتاريخية والثقافية الاجتماعية التى تجرى فيها تلك التجارب، وهى أيضًا تتطلب من الباحث دخول

الدائرة التفسيرية للفعل المقصود من خلال استخدام التجربة الذاتية.

ج- منهج تاريخ الحياة:

يستمد الكثير من مكوناته من المنهجين السابقين (الفينومينولوجى والاستدلالى) إضافة إلى الإثنولوجيا، ويعتمد على أسلوب المقابلة المتعمقة للحصول على سرد متعمق لقصة حياة الفرد بما فيها من قضايا جوهرية.

د- الإثنوجرافيا:

هى ذلك الاتجاه البحثى الأوثق اتصـــالًا بالأنثروبولوجيا، وتتضـــمن القيام بالملاحظة والرصد الدقيق المستمر لأحوال مجموعة اجتماعية معينة، ويسعى الباحث منها إلى فهم ثقافة هذه المجموعة من الداخل. (إدجار، ســيدجويك، ٢٠١٤، ص.٣٣) والإثنوجرافيا أقدم المناهج الكيفية وأكثرها شـــمولًا في محاولتها تشـــريح الحياة اليومية للمجتمع المحلى فتبين معانيها وأنماطها وكل ما يتعلق بها، مستخدمه وسائل بحثية متنوعة خلال فترة زمنية مناسبة يندمج خلالها الباحث في الحياة اليومية للجماعة المدروســـة. ويعمل جميع الأثنوجرافيين من منطلق حقلى واحد، ولكنهم يختلفون كثيرًا في بؤرهم التفســـيرية، فينظر علماء الأنثروبولوجيا الرمزية إلى الثقافة باعتبارها معانٍ ورموز مشـــتركة بين أفراد المجتمع، وهو ذات التوجه الذى ينتهجه مناصرو التفاعلية الرمزية في علم الاجتماع. (حجر، ٢٠٠٣، ص.١٣٧، ١٣٨)

هـ- التفاعلية الرمزية:

تحاول فهم الطريقة التى يســـتوعب الأفراد من خلالها معنى التفاعلات الاجتماعية وكيفية قيامهم بتحويلها إلى رموز ذات معنى، فيتم تفسير معانى الكلمات والإشارات والعلامات للحصول على قواعد التفاعل الذى يتم من خلالها. وحاول بعض الباحثين الإثنوجرافيين تجنب استخدام ما لديهم من أطر نظرية عن المعانى والتعريفات في تفسير مظاهر الحياة اليومية في

المجتمعات التى يدرسونها، متأثرين في ذلك بالدراسات الأنثروبولوجية للثقافات البدائية التى هدفت إلى توضيح الاختلافات في السلوك الاجتماعى ما بين تلك الثقافات قبيل اندثارها. وانطوى ذلك المنهج على ملاحظات مفصلة أجراها الباحثون للتمكن من رؤية الكون من خلال أعين أفراد تلك الثقافات، وهو نفس المنهج الذى استخدم لدراسة الثقافات الفرعية في المجتمعات الغربية، وكان من أبرزها الدراسات الكلاسيكية لمدرسة شيكاغو وتابعيهم فيما بعد.

و- منهج النظرية الكلاسيكية:

برز هذا المنهج من اهتمام البحث الكيفى بالواقع المدروس ومحاولة سبر غوره بعيدًا عن الافتراضات المسبقة أو الأطر النظرية الجاهزة. وتمتد جذورها الفلسفية إلى المنهج الفينومينولوجى وتسعى لبناء نظرية صادقة تتم صياغتها بأسلوب استقرائى من تلك الظواهر المقصودة بالدراسة. وقام بتطوير تلك النظرية كل من "جلاسير" و"ستراوس" عام ١٩٦٧، وفتحت آفاقًا جديدة للإبداع البحثى في فروع المعرفة الإنسانية شتى. وتقوم هذه النظرية على البيانات التى تستخدمها لدراسة ظاهرة ما، فيتم اكتشافها وتطويرها والتحقق من صحتها من خلال الجمع والتحليل المنظم لتلك البيانات، فهناك علاقة تبادلية بين عملية جمع وتحليل البيانات وعملية بناء النظرية.

ل- منهج الإثنولوجيا البشرية:

اعتمدت عليه البحوث الكيفية سعيًا وراء الإحاطة بكافة جوانب الواقع الاجتماعى والاهتمام – أيضًا – بالجانب الفيزيقى للسلوك الإنسانى من خلال استخدام هذا المنهج. وهو منهج مبنى على إسهامات "لورينز" و"تنبيرجن" عالمى الإثنولوجيا الحيوانية، ويهتم بدراسة سلوك الإنسان في إطاره البيولوجى عبر مرحلة زمنية محددة من خلال تسجيل الأنماط المتعاقبة للسلوك الثابت، سعيًا للوصول إلى قاعدة عامة حول السلوك والتفاعل الإنسانى.

م- منهج علم النفس البيئى:

اهتم هذا المنهج بالسلوك الإنسانى، ولكن من حيث تأثره بالبيئة التى تحيط به. فإذا كان الإثنولوجيون يركزون على السلوك ذاته، فإن علماء النفس البيئى يهتمون بالسلوك والبيئة من حوله التى يتم فيها.

ويتبين من العرض السابق، أن المنهج الأنثروبولوجى وثيق الصلة بالإثنوجرافيا ويعد من أهم المناهج الكيفية وأقدمها استخدامًا في الدراسات الإمبيريقية. وعلى الرغم من ذلك فإن اختيار أى من المناهج الكيفية السابقة في إجراء البحث الميدانى يعتمد على عوامل كثيرة مثل: الهدف العام للدراسة، وطبيعة تساؤلها، ونوعية بياناتها، وما يتعلق بها من جمع وتحليل. (حجر، ٢٠٠٣، ص.١٣٨)

٢- طبيعة الموضوعات ومجتمعات البحث التى تستخدم المنهج الأنثروبولوجى:

اعتادت الدراسات الأنثروبولوجية منذ بداية تاريخها الحديث على أن تكون الشعوب البدائية مجال دراستها الخصب لدرجة أن بعض العلماء عرف (الأنثروبولوجيا) بأنها: "علم دراسة الشعوب البدائية" وبدأت هذه الدراسة نظرية، ووصف الأنثروبولوجيون الأوائل الإنسان البدائى أوصافًا وصلت إلى حد التناقض فيما بينها، واعتمدت كتاباتهم أساسًا على الظن والتخمين والخيال الخصب. (إسماعيل، ١٩٨٢، ص.٥٣٩)

وتعتبر دراسات كل من "مالينوفسكى" حول جزر التروبرياند التى حاولت أن تجيب عن سؤال كيف تعمل العادات والتقاليد والنظم الاجتماعية لتفى بالاحتياجات الجسمية والنفسية للأفراد؟ ودراسات "براون" حول جزر الأنديمان التى انصبت على مسألة تماسك النظام الاجتماعى، هى الدراسات الأولى التى أخرجت الأنثروبولوجيا من إعادة تركيب التاريخ الذى

يقوم على الحدس والتأويل الظنى، وأدخلتها في إطار الوصف والتحليل للحاضر والواقع الذى يستند إلى المشاهدة والمقارنة. وبذلك تكون هذه الدراسات أسست لمنهج الدراسة الحقلية، بمعنى أن الأبحاث الأنثروبولوجية لم تعد ترتكز على التخمينات والتأويلات الظنية، بل أصبحت تبنى انطلاقًا من جزئيات الميدان، وثانيًا لم يعد الأنثروبولوجى يذهب لدراسة جماعة معينة فيتكلف بدراسة أرضها وديانتها وعدد السكان وأنواع الوحدات والمعتقدات، ولكنه يختار قضية في مجتمع محلى (كالعنف، أو الحركات الاجتماعية، أو ممارسات ثقافية واقتصادية معينة)، ثم يركز على دراستها من كل الجوانب المرتبطة بها. (الخباز، ٢٠٢١، ص.١٤٧)

كما يكون منهج التحليل الكيفى مطلبًا ضروريًّا حين نكون بصدد دراسة ظاهرة أو حدث غير عادى وغير مألوف، وإن تكرر فإنه لا يتكرر كثيرًا مثال ذلك: الثورة، الاضطراب السياسى، الإضراب العمالى، وما غير ذلك، فمن طبيعة دراسة مثل هذه الموضوعات أنها تقوم على رؤية وتحليل الحدث في سياقات مختلفة، ومستويات متباينة، حدودها غير واضحة، وأساليب التفاعل بها معقدة. (حجازى، ٢٠٠٧، ص.٤ – ٥)

وتشير "آمال عبد الحميد" إلى أن "أنتى وينر" – من الأنثروبولوجيين المعاصرين – قد حددت ثلاثة موضوعات مهمة في الأنثروبولوجيا هى: الأول، تركيز البحوث الأنثروبولوجية على ظواهر ما بعد الحداثة، والثانى، زيادة البحوث التى تهتم بالتناول الجزئى المباشر لأجزاء النسق بحيث يكون الباحث شبكة من المعلومات الجزئية في تحليل الظاهرة، تترابط وتتجه في تفسيرها وتحليلها إلى الكل بحيث ترتقى بها من مستوى الجزئيات إلى الكليات، والثالث وهو الأخير، اهتمام الأنثروبولوجيا الدائم بمفهوم الثقافة، الذى بدأ الاهتمام به مع بداية القرن العشرين، كرمز وإسهام للتطبيع العقلى، فالثقافة اليوم في صراع مع الثقافات السائدة في النظم الأخرى – خاصة المتعلقة بقواعد السلوك – حيث تأثير العولمة – خاصة الاقتصادية والثقافية

– لذا تعد الثقافة محورًا مهمًّا في الأنثروبولوجيا، وهى ما تزال موضوعًا للمناقشة سواء على المستوى النظرى أم الإمبيريقى. (عبد الحميد، ٢٠٠٧، ص.٢٢٤ – ٢٢٥)

ولم تعد الأنثروبولوجيا اليوم تهتم فقط بالقضايا القديمة بل اتجهت صوب دراسة قضايا جديدة فرضتها أبرز أحداث القرن ٢١ والتى تمثلت في: الأزمة الاقتصادية العالمية لسنة ٢٠٠٨، وتطور الذكاء الاصطناعى بشكل لافت للنظر، وسيطرة العالم الافتراضى على العالم الواقعى في كثير من المجتمعات، وغزو الفضاء، فضلًا عن تغير الأذواق، وصراع الأجيال، وبروز المثلية بقوة، وتأجج الحركات الاحتجاجية في الشرق الأوسط تحديدًا، وانتشار وباء كوفيد ٢٠١٩. (الخباز، ٢٠٢١، ص.١٥٤)

وعلى هذا، فإن موضوع الجريمة يعد من الموضوعات التى يجب أن تحتل مكانة مهمة في الدراسات الأنثروبولوجية؛ وبتطبيق الأساليب الكيفية للعمق في دراستها وجمع بيانات تفصيلية عنها؛ نظرًا لخطورتها على الفرد والمجتمع. فمن خلال دراستها وإجراء بحوث أنثروبولوجية فيها نستطيع التعرف على مدى قوة الضوابط الاجتماعية واستقرار المجتمعات من عدمه. وعلى حد علم الباحثة، فإن أغلب البحوث التى درست الجريمة استخدمت الأساليب الإحصائية والمسوح الاجتماعية على عينات كبيرة، وبالتطبيق الميدانى داخل المؤسسات العقابية أو في المجتمعات الحضرية، حيث توفر البيانات الإحصائية الرسمية، في حين يندر دراستها في المجتمعات الريفية لعدم توافر إحصائيات رسمية تفصيلية، كما يندر دراستها باستخدام المنهج الأنثروبولوجى، ولمزيد من التفاصيل في دراسة (مرسى، ٢٠١٥).

٣- الأنثروبولوجيا وتطور المنهج الأنثروبولوجى بأدواته وأساليبه الكيفية:

حين نتحدث عن المنهج الأنثروبولوجى فإنما نشير إلى الأنثروبولوجيا (علم الإنسان) بمعناها الاجتماعى الثقافى، والذى يتناول دراسة البناء الاجتماعى ونظمه وأنساقه المختلفة دراسة علمية منهجية في المجتمعات المحدودة الكثافة، وكذلك الثقافة في نشأتها وتطورها وتغيرها وانتشارها وعناصرها وسماتها ومركباتها وأنماطها، أى دراسة الإنسان بوصفه كائنًا ثقافيًا واجتماعيًا. (إسماعيل، ١٩٨٢، ص.٥٣٧) فقد نشأت الأنثروبولوجيا في النصف الثانى من القرن التاسع عشر، وتأسست كنظام علمى مع المد الاستعمارى للمجتمعات النامية، ومرورًا بالحقبة التى أعقبت انتهاء الاستعمار. (حجر، ٢٠٠٩، ص.٢٧)

وتم استخدام مصطلح الأنثروبولوجيا في القرن ١٩ للإشارة للأنثروبولوجيا الفيزيقية التى كانت تستخدم لتصنيف "الأعراق البشرية"، ولم تكن الأنثروبولوجيا الاجتماعية كما نسميها اليوم موجودة في ذلك العهد، كان يتم استخدام مصطلحات "إثنولوجيا" و"إثنية"، وانتشر مصطلح أنثروبولوجيا أولًا في الولايات المتحدة الأمريكية ثم انتقل إلى فرنسا بفضل "كلود ليفى ستراوس" بدلًا من مصطلح "إثنولوجيا". (قوداييه، ٢٠١٦، ص.١٦١)

وفي نهاية القرن الـ ١٩ أدرك الأنثروبولوجيون أنه يمكن تطبيق المنهج العلمى في بحوثهم عن طريق الدراسة الميدانية، والتى تتمثل في ملاحظة ودراسة الواقع الاجتماعى مباشرة عن طريق جمع المعلومات وتحليلها وعرضها ومقارنتها بالأسلوب العلمى دون الاعتماد على كتابات الرحالة والمبشرين والمستكشفين الذين تشوب كتاباتهم مسحة ذاتية بعيدة تمامًا عن الموضوعية العلمية، كما تعد الرحلات الأنثروبولوجية العلمية التى تقوم على إجراء دراسات ميدانية من أهم دعائم إرساء المنهج الأنثروبولوجى، وبدأت هذه الرحلات في أمريكا

بدراســـة الأنثروبولوجى الأمريكى "فرانز بواس" لقبائل البافين البريطانية، والحقيقة أن هذه الرحلات بدأت بصــورة فعالة ذات صــبغة تاريخية على يد عالم الأحياء البريطانى "هادون" في عامى ١٨٩٨و١٨٩٩ ومهدت لظهور الأنثروبولوجيا كعلم يحتاج إلى التفرغ والتخصص الكاملين، كما اعتبرت الخبرة الحقلية عنصرًا مهمًا في الأنثروبولوجيا. (إسماعيل، ١٩٨٢، ص.٥٣٩، ٥٤٠ – ٥٤١)

وتطورت في الأنثروبولوجيا طرق لدراســة المجتمعات انطوت على ربط الباحث ربطًا وثيقًا بأفراد المجتمع الذى يدرســه، إلى حد الإقامة بينهم فترة من الزمن. ويقوم ذلك المنهج على ملاحظة الناس والاستماع إليهم وهم في مواقف حياتهم الطبيعية؛ لذا كانت البيانات التى يتم جمعها تنبع مباشــرة من أحداث ومواقف التفاعل الاجتماعى الحقيقى داخل المجتمع المدروس، وتطور هذا المنهج في دراسة الواقع الاجتماعى وأصبح يعرف بالاتجاه الكيفى في جمع البيانات ومعالجتها. (ماتيوز، روس، ٢٠١٦، ص.٣٠٤ – ٣٠٥)

وازدهرت المناهج الكيفية الأنثروبولوجية في الاستخدام والاهتمام بتطويرها وتحسينها ورفع كفاءتها خلال فترة ما بين الحربين وبعدها، في الوقت الذى اهتمت فيه النزعة الوضــعية المحدثة بجمع أكبر قدر من المادة الإمبيريقية جمعًا دقيقًا منضبطًا من أجل النظر في تحليلها وتفسيرها واستنطاق النتائج منها، وتوسع الاستخدام للأساليب الكيفية على يد مدرسة شيكاغو بعد الحرب العالمية الأولى. (لايدر، ٢٠٠٠، ص.١١، ١٢) ثم شهدت أواخر القرن الـــ ٢٠ تطورات في الدراسات الكيفية، وتطوير طرق جديدة لجمع البيانات وتحليلها، والاستعانة ببرامج الحاسب الآلى في عملية التحليل، وتقوم طرق البحث الكيفى أساسًا على الاهتمام بالقصص والروايات التى يقدمها المبحوثون وتحتوى على مفاهيم ومشاعر وآراء ومعتقدات ذاتية، ويتبنى الباحث اتجاهًا معرفيًا تأويليًا للبيانات المجموعة التى تكون في الأســاس هى كلمات وتعبيرات المبحوثين أنفسهم. (ماتيوز، روس، ٢٠١٦، ص.٣٠٦)

وأصـــبحت المناهج والتقنيات الكيفية منذ نهاية القرن العشـــرين ومطلع القرن الحالى تحظى باهتمام متزايد في معظم الجامعات بمختلف تخصـــصـــاتها. (دليو، ٢٠٢٢، ص.١١) ونظرًا لأن الباحث هو الأساس فى عملية جمع البيانات في الدراسات الكيفية؛ لذا فإن مناهجها وطرق جمع بياناتها تتسم بالمرونة والقابلية للتطوير. (ماتيوز، روس، ٢٠١٦، ص.٣٠٧) مما يعنى أن الباحث يمكنه استخدام مناهج وأدوات عديدة ومتنوعة والاستفادة منها في عملية جمع البيانات، تأكيدًا لقول "بول فايرباند": "القاعدة المنهجية الوحيدة التى تصـــمد دائمًا هى أن كل الطرائق البحثية التى يتبعها الباحث تكون جيدة". (سبيلا، الهرموزى، ٢٠١٧، ص.٤٧٤)

ومن ثم، **تتكامل مع المنهج الأنثروبولوجى مناهج أخرى** تستخدم في إطاره وتفيد في جمع بيانات أكثر شمولًا وتفصيلًا عن الظاهرة المدروسة والمجتمع محل الدراسة، مثل **منهج دراسة الحالة:** وهى تسجيل مفصل لخبرة فرد أو سلسلة من الأحداث التى تظهر في إطار محدد، وظهر هذا المنهج بشـــكل منظم في ميدان الأنثروبولوجيا القانونية، و**منهج دراســـة المجتمع المحلى:** وهو الطريقة السائدة في التحليل الأنثروبولوجى لدراسة المجتمعات القروية، كما يستخدم هذا المنهج أيضًا في دراسة أنماط أخرى من المجتمعات المحلية، وتهدف دراسة المجتمع المحلى إلى تقديم وصف شامل ومتكامل لأنماط العلاقات الاجتماعية والقيم والنظم السائدة في المجتمع، كما تهدف إلى وصف الأساليب التى يحافظ بها المجتمع على أبنيته الاجتماعية ونظمه الثقافية، وتلك التى يعيد من خلالها إنتاج هذه الأبنية والنظم على مدار الزمن. (سميث، ٢٠٠٩، ص.٢٨٥)

- أما عن الأدوات والأساليب الكيفية للمنهج الأنثروبولوجى:

فإن طريقة البحث تعد أسلوبًا لجمع الشواهد والأدلة، وتندرج أساليب جمع البيانات الكيفية ضمن واحدة أو أكثر من الفئات الثلاثة الآتية: الإنصات إلى المبحوثين أو سؤالهم، أو ملاحظة السلوك، أو فحص السجلات والتقارير. (بيبر، ليفى، ٢٠١١، ص.٦١) ويستخدم

الأنثروبولوجيين عديدًا من الأدوات والأساليب العلمية الموضوعية لتقنين منهجهم في البحث الميدانى وليتفادوا مشاكل البحث في الظاهرة الإنسانية، وتكفل لهم هذه الأساليب الوصول إلى نتائج علمية سليمة في دراساتهم الميدانية. (إسماعيل، ١٩٨٢، ص.٥٤٤) من أهم هذه الأساليب ما يأتى:

أ- الملاحظة والملاحظة بالمشاركة:

حدد "جيدنز" أسلوبى "الملاحظة والملاحظة بالمشاركة" أنهما من القواعد الأساسية للمنهج، موضحًا أنه لا يمكن للباحث الملاحظ أن يستحضر الحياة الاجتماعية كظاهرة تحت الملاحظة بمعزل عن الاعتماد على معرفته بها كمصدر يتم من خلاله تأسيسها كموضوع للبحث، وهذه "المعرفة المتبادلة" تمثل المخططات التفسيرية التى يستخدمها كل من الباحثين والفاعلين، ويجب أن يستخدموها لكى يفهموا النشاط الاجتماعى، أى لكى يولدوا توصيفًا له "متعارفًا عليه". (جيدنز، ٢٠٠٠، ص.٢٨٠) والملاحظة بالمشاركة أحد أساليب البحث الإمبيريقية، ويعنى قيام الباحث بدراسة مجتمع صغير أو نشاط ثقافى يكون الباحث نفسه جزءًا منه (فى العادة طوال مدة قيام الباحث بالدراسة)، وتتميز بثراء المعلومات الوصفية التفصيلية التى توفرها للباحث في جمع البيانات الميدانية. (إدجار، سيدجويك، ٢٠١٤، ص.٦٢٢)

ب- المقابلة:

هى من الوسائل الرئيسة لجمع البيانات وتقوم عادة على تيسير الاتصال المباشر بين فردين، إما وجهًا لوجه وإما عن بعد عبر الهاتف أو الإنترنت، وتمكين القائم بالمقابلة من استخراج المعلومات، والمشاعر، والآراء من المبحوث باستعمال الأسئلة والحوار التفاعلى، فهى توفر الفرصة للتفاعل المباشر بين الباحث والمشاركين في البحث، وتنقسم المقابلة إلى: المقابلة غير المقننة هى مقابلة (متعمقة، جماعية، سردية)، والمقابلة شبه المقننة هى مقابلة

(متعمقة، مسحية، جماعية)، والمقابلة المقننة هى مقابلة (موحدة قياسيًّا، مسحية). (ماتيوز، روس، ٢٠١٦، ص.٤٥١، ٤٥٢) وتشير احدى الدراسات إلى أن أداة المقابلة هى من أهم أدوات القيام بالبحث العلمى والتى تتم بطرق منها: المقابلة الشخصية التى يجلس فيها الباحث وجهًا لوجه مع المبحوث، والمقابلة التى تتم عن طريق الاتصال الهاتفى، والمقابلة بواسطة الحاسوب، والمقابلة بواسطة التلفاز (الأقمار الصناعية) وأجهزة الإرسال والاستقبال. (لكحل، ضريبى، ٢٠٢١، ص.١٧٧)

ج- جماعة المناقشة (البؤرية):

هى طريقة لجمع البيانات الكيفية التى تتولد من النقاش بين أعضاء جماعة المناقشة، وعددهم بين ٥ و١٣ شخصًا ممن يشتركون في أمر معين ويكون مرتبطًا بموضوع البحث؛ وذلك للمشاركة في نقاش حول هذا الموضوع، ويدير الباحث عمل جماعة المناقشة في نقاش منظم يستمر من ساعة إلى ساعتين، وتعتمد هذه الطريقة على ديناميات الجماعة للحصول على بيانات كيفية متعمقة وثرية وتجريبية غالبًا، ويمكن استخدامها ضمن طرق أخرى للبحث، أو تكون الطريقة الوحيدة لجمع البيانات. (ماتيوز، روس، ٢٠١٦، ص.٤٨٠، ٤٨١)

د- الإخبارى في الدراسة الميدانية:

منذ أن تخلت الأنثروبولوجيا عن مسلماتها الساذجة حول تجانس المجتمع البدائى، وهناك محاولات لتطوير الطرق المنهجية لاختبار الاتفاق بين الإخباريين والباحث الميدانى والتى تقوم على فرضية أن الأحداث والمواقف لها نفس الدلالة لدى الباحث ولدى الإخباريين الذين يمدون الباحث الأنثروبولوجى بالمعلومات عن موضوع بحثه ومجتمع دراسته. (سميث، ٢٠٠٩، ص.٧٢، ٧٣) ويعرف "جريك بايلى" الإخباريين بالقول: "إن الأشخاص الذين يسمحون للباحث بالقيام بملاحظة سلوكياتهم يسمون الخبراء أو الإخباريين". (غانم، ٢٠٠٤، ص.١١٧)

هـ- دليل العمل الميدانى:

هو مجموعة من النقاط والموضـــوعات التى يجب على الباحث أن يغطيها مع المبحوث خلال الحوار الذى يجريه معه، ويسـمح في هذه الحالة بدرجة عالية من المرونة في الطريقة والصـياغة والترتيب الذى تخضـع له الأسـئلة التى يوجهها الباحث للمبحوث. (لطاد، وآخرون، ٢٠١٩، ص.٧٠) وفي مجال تطوير أدوات الجمع الميدانى، أبدع "أحمد أبو زيد" في تقنين أدلة العمل الميدانى، كمرشـــد للباحثين في جمع البيانات، مع إعطائهم الحرية في عدم التقيد الحرفى بما ورد في الدليل أو ترتيبه، أثناء حوارهم الحى مع المبحوثين. (محمد حافظ دياب، /https://www.aranthropos.com)

و- الباحث باعتباره "منفذ البحث":

يقصـد بها أن الباحث نفسـه يقوم بعملين في نفس الوقت وهما: طرح الأسـئلة وتمكين المبحوث من تقديم الإجابات، ويتم ذلك في المقابلة شـــبه المقننة التى يكون فيها الباحث مشـــغولًا – في العادة – بجمع البيانات التفصـــيلية والمتعمقة، تلك البيانات التى تتغلغل تحت السـطح الظاهرى لخبرات الفرد وآرائه لتسـتكشـف أسـباب السـلوك والاتجاهات، وكأن الباحث "الأداة الرئيسة" في البحث. (ماتيوز، روس، ٢٠١٦، ص.٤٦٥)

ل- أسلوب أو طريقة "المعايشة الميدانية":

يعتمد علم الأنثروبولوجيا على المعايشـــة الميدانية في بحوثه الأكاديمية، وهو نزول الباحث للتعايش مع الجماعة بغرض قيام دراســة حول عاداتهم وأعرافهم أو الاختصـــاص في مجال بحث معين، ويتوجب على الباحث أن يتعلم لغة الشـــعب والتعرف على عاداتهم الاجتماعية وعدم خرق الأعراف والقوانين. ويعتبر المســـح الميدانى من أكثر البحوث إرهاقًا كون الباحث لا يمكنه غلق ملف بحثه، بل يتوجب عليه أن يقوم بعدة زيارات للجماعة على

فترات متباعدة لقياس المتغيرات التى طرأت عليها، كما تشـــكل مرحلة الاســـتقرار جزءًا من المســح الميدانى بمعنى أن يعتاد الباحث على سـكان مجتمع البحث ويعتادوا عليه للحصـول على البيانات التى تفيد بحثه الميدانى. (كوبان، ٢٠٠٧، ص.٥٨)

ويشـير "سـليم درنونى" إلى أن واقعنا البحثى بأمس الحاجة إلى فهم عمليات المسـح الأنثروبولوجى، وكيفية التعامل مع الميدان الذى أظهره "جان كوبان" وكأنه كائن يجب التعامل معه من كل جوانبه؛ ومن أجل فهم الإنســـان فهمًا حقيقيًا يجب أن يفهم في أبعاده المختلفة، وينبغى أن يؤخذ كل تركيب فيه على حده وهذا ما يكشـــف عن أهمية تطبيق هذا الأســـلوب المنهجى في عمليات الجمع الميدانى. (درنونى، ٢٠١٥، ص.٦٩)

م- التسجيل الصوتى وعلى أشرطة الفيديو:

يســـتخدمها الباحث في عملية الجمع الميدانى إذا كان يمتلك الخبرة اللازمة في استعمالها وإذا كانت الأدوات متوفرة لديه، فقد يرغب الباحث مثلًا في تسجيل جلسات جماعات المناقشـــة التى يتعامل معها، أو في تســـجيل المقابلات الفردية، أو في التقاط فيلم فيديو عن موقف ما أو عن واقعة ما تمهيدًا لتحليلها لاحقًا. (ماتيوز، روس، ٢٠١٦، ص.٤٠٦) وبشرط أن يسمح له أفراد مجتمع البحث بالتسجيل. ومع التطور التكنولوجى السريع أصبحت أجهزة المحمول المتطورة والمتصـــلة بشـبكة الإنترنت تُســتخدم كأداة بحثية مع الباحث طوال مراحل البحث، وقد يســتخدمها قبل بداية البحث أثناء إجراء الدراســة الاســتطلاعية لاختبار مجتمع البحث وإمكانية دراسة الظاهرة فيه.

ن- الفيلم الإثنوجرافى:

أصـــبح طريقة رئيســـة من طرق التعبير ووجد فيه بعض الأنثروبولوجيين أداة جديدة لعرض نتائج بحوثهم الميدانية، من خلال اســـتخدام مســـجل الصـــوت والكاميرا لإنتاج فيلم

إثنوجرافى عن الموضـــوعات المراد جمع بيانات عنها من مجتمع دراســـتهم، وتشـــير "علياء شكرى" إلى أنه مهما برع المتخصص الأنثروبولوجى في استخدام هذه الطريقة، إلا أنه سوف تظل أداته الرئيسـة هى الكراسـة التى يسـجل فيها ملاحظاته في الميدان عبر الأداة المنهجية الشـــهيرة المعروفة "الملاحظة بالمشـــاركة" وهو ما يؤكد هوية الباحث وحقيقة المنهج الأنثروبولوجى. (شكرى، ٢٠١٩، ص.١٤٠، ١٤١)

٤- المنهج الأنثروبولوجى والتطبيق العملى من الحقل الميدانى إلى الحقل الافتراضى:

يؤكد تاريخ الأنثروبولوجيا أنها علم يتجدد باســـتمرار، وتتغير معالمها كلما حدثت تغيرات كبيرة في التاريخ البشرى أو في المجال الإبستمولوجى، وبالتالى فمواكبة التطورات التى تحدث في المجال الأنثروبولوجى، تعتبر شرطًا لا غنى عنه للتعرف على هوية هذا العلم التى تتعرض لإعادة التشـكيل كل حين، ثم لتطوير البحث الأنثروبولوجى في المسـائل التى تخص الإنسـان عامة. فقد أدى سـيطرة العالم الرقمى على كثير من المجالات في حياتنا المعاصـرة إلى تخصـص مجموعة من الباحثين في الأنثروبولوجيا الرقمية أو (الأنثروبولوجيا الافتراضـية) التى تهتم بدراسـة علاقة الإنسـان بالتقنية في العصـر الرقمى، فضـلًا عن دراسـة الثقافة في العالم الافتراضـــى، والذكاء الاصـــطناعى، ووســـائل الإعلام الرقمية. (الخباز، ٢٠٢١، ص.١٤٢، ١٥٤ – ١٥٥) وإذا كـان المعتـاد فى البحـث الأنثروبولوجى الكيفى أن يـذهـب الباحث شـــخصـــيًا وبنفســـه إلى الأفراد والجماعات المعنية بالبحث، ويقوم بتحديد المواقع والمؤسـسـات المعنية بالبحث والملاحظة والمراقبة أو بتسـجيل البيانات المتعلقة بالسـلوك في المحيط الطبيعى لها. (بن عمروش، ٢٠٢٠: ٣٠١) فماذا يحدث إذًا عند تطبيق تكنولوجيا الواقع الافتراضى في البحث الأنثروبولوجى الحقلى؟

تشـــير "زينب خلافة" إلى ظهور وتطور الإثنوجرافيا الافتراضـــية، حيث تعتمد الإثنوجرافيا الرقمية كمنهج بالطبع على الإثنوجرافيا "ما قبل الرقمية"، فالإثنوجرافيا مع جذورها في الأنثروبولوجيا تأخذ موضـــوع اهتمامها من الواقع الذى يعيشـــه الناس، والذى تهدف من خلاله إلى إنتاج حسابات مفصلة ومتمركزة، أى على حد تعبير "جيرتز" تقدم "أوصافًا سميكة أو كثيفة"، كما كانت الأنثروبولوجيا مســـئولة عن خلق الإثنوجرافيا كطريقة بحث. (خلافة، ٢٠٢١، ص.٣٠٢)

وفي ظل التطورات التقنية الإلكترونية السريعة اليوم، خاصة سيطرة الواقع الافتراضى وتطبيقات الميتافيرس – العالم الرقمى أو الإنترنت بشكل عام – في جميع مناحى الحياة – ولا سيما التعليم والبحث العلمى –، فإنه يكون على الدراسات الكيفية ومناهجها مسايرة ذلك. فقد لاحظنا على ســـبيل المثال أن من تبعات أزمة كورونا – كأحد التغيرات العالمية – انتشـــار التطبيق الإلكترونى لبعض أدوات جمع البيانات الكمية مثل الاستبيانات والمسوح الإلكترونية. وليس ذلك ببعيد عن المناهج الكيفية كالمنهج الأنثروبولوجى وأدواته؛ لمرونته وقدرته على استيعاب التطورات. لذا فمن المتوقع انتشار استخدام المنصات الإلكترونية في البحث الميدانى الكيفى، حيث تطبيق أدلة العمل الميدانى وإجراء الحوارات والملاحظات عبر المقابلات الافتراضـــية من داخل مجتمعات بحث معولمة بشـــبكات الإنترنت، وذلك من خلال تطبيقات تكنولوجية حديثة في تكنولوجيا التعليم ومجالات البحث فيها، أشـــار إليها الأســـتاذ الدكتور (محمد عطية خميس، ٢٠٢٠)، كما قدم شرح لها في ندوة علمية ذكر فيها، أن هذه التطبيقات تتوفر في الهواتف الذكية وســـاعات الأيدى التى توجد بداخلها حاســـبات آلية صـــغيرة، لربط الواقع الحقيقى بالواقع الافتراضى، وإنتاج ما يعرف بـــ "الواقع المعزز" والذى يكون فيه الواقع الحقيقى هو الأصـــل ويضـــاف عليه الواقع الافتراضـــى بالدخول عليه بالباركود الموجود في الهاتف الذكى، أو إنتاج "الواقع المخلوط" الذى يكون فيه الواقع الافتراضـــى هو الأصـــل

ويضـــاف عليه الواقع الحقيقى، وفقًا لما يتفق عليه الباحث مع أفراد مجتمع بحثه في إجراءات التطبيق العملى وجمع البيانات. (/https://fb.watch/dsJgnt0TUj)

خامسًا: التراث المعنى بتطوير المنهج الأنثروبولوجى

نعرض هنا لنماذج من البحوث التى ســـعت إلى تطوير المنهج الأنثروبولوجى كأحد المناهج الكيفية، وما يتميز به من خصائص منهجية علمية وعملية على النحو التالى:

١- (ســـعاد عثمان، رؤيـة جديدة لتطوير المنهج الأنثروبولوجى مع تطبيقات عملية في دراسة الأنثروبولوجيا الصحية):

من البحوث الرائدة في هذا الموضـوع، وجاء هذا البحث منشور في كتاب متخصص في الدراســـات والبحوث الأنثروبولوجية عام ٢٠١٦. وركز هدفه في محاولة التعرف على مدخل منهجى للبحث الأنثروبولوجى الكيفى يهتم أصـحابه باسـتخدام المناهج الأنثروبولوجية لتقييم أبحاث وبرامج التغذية والرعاية الصحية في وقت قصير – شهرين تقريبًا – وهو مجال خاص بميدان الصحة والأسرة، حيث يمثل الإسهام المنهجى وتقديم مداخل جديدة للبحث في هذه الموضوعات مطلبًا مهمًا وأساسيًا يسهم في دراسة وفهم واقع المجتمع العربى بوجه عام والمجتمع المصرى بوجه خاص.

ويوضـــح البحث أن متطلبات التطوير المنهجى هى: المهارة في إجراء الدراســـات الحقلية والبحث الميدانى. وتوافر ظروف معينة منها أن يقضـــى الباحث فترة كافية من الزمن في إجراء بحثه الميدانى، والشـائع بين الأنثروبولوجيين أنه يجب ألا تقل هذه الفترة الزمنية عن عام كامل، وكانت أكثر مدة أربع ســنوات وقضـــاها عالم الأنثروبولوجيا "مالينوفيســكى" رائد البحث الحقلى. فنجد أنه مع تطور الأنثروبولوجيا حدث تطور مناظر في طرق البحث، كانت تركز في أغلبها على ما أكده "مالينوفيسكى" من ضـرورة الإقامة لمدة سـنة كاملة أو أكثر في

مجتمع الدراســـة والتركيز على التفاعل بين الجوانب المختلفة للثقافة والبناء الاجتماعى. (ســـكوت، مارشـــال، ج١، ٢٠١١، ص.٢١٣) واختبار التأملات النظرية من خلال حقائق مأخوذه من العالم الواقعى لتحقيق التطور الموضوعى والمنهجى والنظرى. كما تمثل الدراسات السابقة في البحث الأنثروبولوجى أحد الحقول الصالحة لاستنبات بذور التطور العلمى.

وأوضـــح البحث التعريف بهذا المدخل المنهجى الجديد. ويطلق عليه اســـم (RAP) وهى اختصـــار لعبارة "طرق التقييم الســـريع Rapid Assessment Procedures" وترى الباحثة أن هذا المدخل يســـاعد الباحثين في العلوم الأخرى من اســـتخدام طرق البحث الأنثروبولوجى في حل مشـــكلة الزمن "الوقت" وتيســـيرًا للباحثين في الأنثروبولوجيا ومختلف العلوم الاجتماعية لإجراء أبحاث متعمقة في وقت قصير نسبيًا، فهو مدخل يتناسب مع إيقاع الحياة الســـريع ويختلف في نفس الوقت عما اتســـمت به العديد من البحوث الأمريكية التى جمعت ما بين الســـرعة والســـطحية فهو اســـتخدام للطرق الأنثروبولوجية في قالب جديد. وتضـافرت جهود الباحثين في تقديم صورة واضحة عن هذا المدخل بدأتها "سوزان سكريمشو" عام ١٩٨١.

وتتلخص إســـهامات هذا المدخل المنهجى في أنه يقدم خطوات للعمل، تســـتخدم فيها أدوات البحث الأنثروبولوجى، ويتم إنجازها في وقت قصير من ٤ إلى ٨ أسابيع يمكن أن تمتد أحيانًا لفترة أطول، فهو مدخل لدراسة موضوع واحد في مجتمع واحد أو مجتمعات محلية قليلة أو هو لتقييم جدوى برامج الرعاية الصـــحية. وتؤكد الباحثة أنه يجب على الباحثين الذين يســـتخدمون هذا المنهج أن يملكون بعض المهارات التنظيمية والقدرة على تنمية الإحســـاس بالألفة من الإخباريين، والقدرة على تســـجيل أقوالهم بمهارة ونقل وجهات نظرهم ومعتقداتهم وســـلوكهم. إلى جانب أهمية أن يتلقى الباحث قدرًا كافيًا من التدريب بحيث تكون له خبرات

ميدانية وخلفية علمية تكفل له إنجاز العمل بدقة وسرعة في آن واحد، ولمزيد من التفاصيل (عثمان، ٢٠١٦، ص.٢٢١ – ٢٤٣).

ووجهة نظرى حول استخدام هذا المدخل المنهجى الجديد في إجراء بحوث أنثروبولوجية، أرى أنه لا يستطيع القيام بهذه البحوث باحث فرد لدراسة عدد من المجتمعات المحلية أو حتى مجتمع محلى واحد يكون مجالًا للدراسة، وقد أكد هذا البحث على ذلك من خلال الأدبيات التى عرض لها، فجميعها تؤكد أن البحوث أجريت من خلال عدد من الباحثين سواء داخل المجتمع المصرى أو بحوث أجراها باحثين أجانب على مجتمعاتهم. كما أن استخدام هذا المدخل في دراسة موضوعات معينة مثل الجريمة ورصد أنماطها وأيكولوجيا انتشارها على مستوى بيئات ثقافية متباينة، من الصعوبة تطبيقه في جمع المادة الميدانية التفصيلية وتحقيق المعايشة للوصول إلى الدقة والعمق في البيانات التى يتم جمعها. وهذا ما يؤكد أن إنتاج الكثير من البحوث العلمية والعملية يجعل التطوير المنهجى مستمر في جوانب أخرى من المنهج الأنثروبولوجى، سيوضحها النموذج التطبيقى في البحث الراهن.

٢- (آمال عبد الحميد، الإحصاء في المنهج الأنثروبولوجى قضايا منهجية ورؤية نقدية):

جاء هذا البحث منشورًا في كتاب متخصص في الدراسات والبحوث الأنثروبولوجية عام ٢٠٠٧. وهو بحث نظرى تحليلى يهدف إلى الكشف عن الانتقادات التى وجهت إلى عدم استخدام الإحصاء أسلوبًا أساسيًّا في البحث الأنثروبولوجى. ويوضح أن البحوث الأنثروبولوجية كانت في البداية تعتمد على جمع بيانات ميدانية من داخل مجتمع واحد أو عدة مجتمعات، ثم تحلل تلك البيانات بأساليب كيفية في إطار النظرية التى يراد تدعيمها سواء أكانت تطورية أم انتشارية أم غير ذلك. كما يشير هذا البحث إلى أن أساليب وأدوات المنهج الأنثروبولوجى تبلورت بشكل أكثر إحكامًا، من حيث الملاحظة والملاحظة بالمشاركة

والمقابلة المتعمقة والاستعانة بالإخباريين ومعايشة الواقع... إلخ. وفى إطار النظرية تُحلل وتُفسر البيانات بطرق كيفية كأحد السمات المتأصلة والتى تميز هذا المنهج.

في حين كان الاتجاه المسيطر على المنهج الأنثروبولوجى استبعاد استخدام الأسلوب الإحصائى سواء في جمع البيانات أم عند تحليلها. مما أدى إلى توجيه الانتقادات إليه. وعلى الرغم من ذلك فإن الشواهد المعاصرة تشير إلى أن هذا المنهج من أكثر المناهج التى تمكن من الوصول إلى نتائج أكثر عمقًا، كما أن لديه القدرة على التكيف السريع مع متطلبات ومتغيرات الواقع، خاصة التطور التكنولوجى سواء في المجال التقنى للأدوات أو في مجال الحاسب الآلى، مما وضع حدًّا لتلك الانتقادات. ولمزيد من التفاصيل (عبد الحميد، ٢٠٠٧، ص٢٠٦ – ٢٣٤). كما ينتهى هذا البحث بالنظر إلى المنهج الأنثروبولوجى برؤية جديدة، تجمع بين الخصوصية التى يتفرد بها من حيث التناول والتحليل الكيفى الذى يتطلب أساليب وأدوات محنكة تمكن من سبر غور الظواهر، وبين الشمولية والتجريد والتعميم باستخدام الإحصاء والتحليل الكمى. ولعل هذه الرؤية في الجمع بين الطرق الكيفية والكمية هى أفضل تصوير لما ذكره "ماتيوز، روس" للطرق المختلطة التى تمثل مزجًا أو تأليفًا بين الكيف والكم بالطريقة الأنسب لموضوع البحث الذى يجريه الباحث. (ماتيوز، روس، ٢٠١٦، ص. ٣٠٦)

ووجهة نظرى، أنه من الصعب تحقيق الجمع بين الإحصاء بأدواته وتقنياته المستخدمة في البحوث الاجتماعية وبين المنهج الأنثروبولوجى بأدواته وأساليبه الكيفية، ولكن استعانة هذا المنهج بالإحصاءات سواء الجاهزة أو التى يقوم بإعدادها الباحث بنفسه حول مجتمع دراسته والظاهرة التى يدرسها، فهى لا تعد إلا إحصاءات بسيطة تعطى مزيد من التوضيح والتفسير، ولكنها ليست الأساس في الدراسات الأنثروبولوجية الكيفية التى تعطى جل اهتمامها للعمق في الميدان والحصول على تفاصيل من معايشة أفراد مجتمع البحث وحالات الدراسة. وهذا ما تؤكده دراسة الجريمة في الريف التى أجرتها كاتبة هذه السطور.

٣- (زينب خلالفة، الإثنوغرافيا من العالم الواقعى إلى العالم الافتراضـــى، ٢٠٢١):

هو من البحوث الحديثة التى تزامنت مع أزمة كورونا وما أحدثته من تحول في كل ما هو واقعى إلى افتراضـــى، كما اســتمر الحال إلى ما بعد كورونا، حيث الأخذ بكل إجراءات التعليم الإلكترونى والتحول الرقمى في كل قطاعات المجتمع والحياة الاجتماعية؛ لذا تظهر قيمة هذا البحث وما يهتم به من تطوير في مناهج وطرق البحث الميدانى في ظل التطور التكنولوجى وتطبيقات الذكاء الاصطناعى في المؤسسات التعليمية ومراكز البحوث العلمية.

ويشـــير هذا البحث إلى أن الإثنوجرافيا هى إحدى طرق البحث الكيفى (الميدانى) المنبثقة عن الأنثروبولوجيا، والتى استخدمت ضمن العديد من العلوم خاصة الاجتماعية منها. واهتمت الإثنوجرافيا بدراســة الثقافة الإنســانية للأفراد في بعديها الثقافى والحضــارى، معتمدة بشــكل خاص على الملاحظة بالمشــاركة، ومعايشــة الأفراد في حياتهم اليومية. تطورت هذه المقاربة وانتقلت من العالم الواقعى إلى العالم الافتراضى، بفضل تطور الإنترنت وزيادة اندماج الأفراد فيها، حيث أصبحت هذه الأخيرة بيئة مناسبة للبحث، وبالتالى فتحت آفاقًا جديدة للعمل الإثنوجرافى. لقد أدى الانتقال إلى عالم الإنترنت، إلى إحداث تغييرات جذرية في العمل الإثنوجرافي، ولمزيد من التفاصيل (خلالفة، ٢٠٢١، ص.٢٩٧ – ٣٠٧).

ويؤكد هذا البحث أن الإثنوجرافيا في شـــكلها التقليدى أو في شـــكلها الحديث أى الافتراضى، ستظل من أهم الطرق الكيفية في عملية جمع المعلومات والبيانات من المجتمعات على اختلاف أنواعها. وعلى الرغم من التطورات التى عرفتها الإثنوجرافيا كمنهج وكمقاربة للبحث بفضـــل شـــبكة الإنترنت وما لحقها من تطورات، إلا أن الباحثين أبدوا الكثير من التحفظات بشأن هذا التطور لما له من انعكاسات على طريقة البحث وكيفية جمع المعلومات. كما أن التطورات في شـــكل وطريقة القيام بالأبحاث الإثنوجرافية لم تخلق مشـــكلات منهجية

فحسب، ولكنها تطرح أيضًا العديد من المشكلات الأخلاقية. لذا توصى الباحثة بأنه يتوجب على الباحثين اليوم، الالتفاف حول هذه التطورات والاستفادة منها، والسعى لتجاوز الصعوبات والمشاكل التى تطرحها، وخاصة الإيمان بأن انتقال الإثنوجرافيا من العالم الواقعى إلى العالم الافتراضى، سيكون في خدمة المجتمع العلمى وخدمة هذا المنهج، وأنه من الطبيعى أن تتطور طرق البحث، وأن تواكب التغيرات والتطورات التى تحدث في المجتمع.

سادسًا: مناهج دراسة الجريمة في الريف بين الكمية والكيفية من واقع قراءة التراث البحثى

قامت الباحثة باستقراء بعض أدبيات التراث البحثى في دراسة الجريمة عامة والجريمة في الريف خاصة على المستويين العالمى والمحلى، وفي هذا الصدد لجأت إلى ما هو متوافر في مكتبات بعض الجامعات والمراكز البحثية، وما هو متوافر على شبكة المعلومات الدولية، إلى جانب استقراء الببليوجرافية الشارحة للإنتاج العربى في علم الاجتماع خلال الفترة (١٩٢٤ – ٢٠٠٠)، والذى تبين منه كثرة الدراسات الخاصة بالجريمة بشكل عام، وكذلك الجريمة في الحضر أو الحضر والريف معًا من واقع دراسة المؤسسات العقابية، كما تركز هذه الدراسات اهتمامها على دراسة نمط واحد من الجريمة وتحليل إحصاءاته، والكشف عن كيفية وعوامل ارتكابه ورد الفعل المجتمعى تجاهه. ونظرًا لكثرة تلك الدراسات اقتصرت الباحثة على عرض ثمانِ منها؛ لاجراء مقارنة بينها فيما يخص الإجراءات المنهجية: ما بين المنهج الكمى، والمنهج الكيفى.

وقد تبين أن معظم تلك الدراسات اعتمدت على منهج المسح الاجتماعى، وجمع البيانات عن طريق الاستبيان وأخذ عينات بحثية سواء من السجون أم من مجتمعات الدراسة، والاستناد إلى الإحصاءات الرسمية، بالإضافة إلى إجراء دراسة وصفية عن الجرائم

وخصائصها وخصائص مرتكبيها، وكانت قلة من الدراسات الكيفية التى اعتمدت على المنهج الأنثروبولوجى ودراسة الحالة. ويتم عرض رؤية تحليلية منهجية لتلك الدراسات على النحو التالى:

استعانت دراسة **(C. Deller & A. Deller: 2010)** بالمنهج المقارن للجرائم ما بين الريف والحضر، والحصول على إحصاءات الجريمة من الريف والحضر من خلال إجراء دراسة مسحية باستخدام أداة الاستبيان لجمع بيانات عدد من المقاطعات الريفية الأمريكية.

واعتمدت دراسة **(Duggan: 2001)** على البيانات الإحصائية الرسمية للجريمة، وإجراء دراسة إحصائية بين متغيرين هما: توفر الأسلحة، ووقوع الجريمة، ومقارنتها عبر المناطق الجغرافية المختلفة في المقاطعة الريفية من خلال إجراء مسح اجتماعي شامل في ضوء ثلاثة متغيرات أساسية هي: الأول، حمل أو امتلاك الأسلحة، الثانى، بيع المجلات الخاصة بالأسلحة واطلاع الأفراد عليها أو قراءتهم لها، الثالث وهو الأخير، وقوع جرائم القتل والانتحار. والحصول على بيانات رسمية من إحصائات الشرطة والنيابة عن عدد حالات جرائم القتل، والسرقات، والاغتصاب، والاعتداءات، وسرقات الأسلحة الآلية أو جرائم السطو المسلح، وجرائم الملكية.

في حين استعانت دراسة **(P. Mears, et al: 2007)** بالمنهج الأنثروبوبولوجى وأدواته خاصة الملاحظة في جمع البيانات الميدانية، واستخدمت عناصر الآدب الشعبى كالأغانى في التحليل الثقافى للجريمة. وتعددت الإجراءات المنهجية وتنوعت مصادر البيانات التى استخدمتها دراسة **(McCullagh: 1999)** فقد اعتمدت على عدد من الدراسات التاريخية المسحية لتحليل أنماط الجريمة الريفية / الحضرية فى ايرلندا، وكذلك بعض الإحصائيات المقدمة من الشرطة عن جرائم العنف الأسرى التى وقعت في الريف عام ١٩٩٤، كما لجأت إلى الدراسات التاريخية المسحية، فضلاً عن إجراء دراسة مسحية عن

ضحايا الجريمة وجرائم العنف ضد المرأة عام ١٩٩٥، وكذلك إجراء مسح بالعينة مكون من ١٤٨٣ امرأة من سن ١٨ سنة فأكثر. ومنهج تحليل الدور للكشف عن الجريمة التى تقع في القرى الريفية، وتحليل إحصائيات الشرطة لجرائم تعاطى المخدرات التى تقع في الريف، وجرائم الملكية الزراعية، وكذلك إجراء دراسة حالة لعدد ١٢ ضحية في جرائم السرقات.

وقام **(التميمى: ٢٠٠٤)** بدراسة وصفية لواقع الجريمة في محافظة ديالى العراقية استخدم فيها منهج المسح الاجتماعى بالعينة، مستعينًا بأدوات الاستبيان والملاحظة والمقابلة لجمع بيانات كمية وكيفية. واعتمدت دراسة **(طلبه: ٢٠٠٨)** على منهج المسح الاجتماعى بالعينة؛ لدراسة عينة من المجرمين الريفيين المودعين بالسجن العمومى بمحافظة أسيوط، واستخدم الأسلوب التحليلى الوصفى، وكذلك الأسلوب الإحصائى لجمع الإحصاءات المتعلقة بموضوع الدراسة وجدولتها ومعالجتها إحصائيًا واستخراج النتائج النهائية. كما استخدم الباحث مجموعة من الأدوات للحصول على بيانات الدراسة وهى: البحث المكتبى والوثائق والسجلات، صحيفة الاستبانة، دليل مقابلة الإخباريين، المقابلات، ووفقاً لأهداف الدراسة وتساؤلاتها فقد استخدم الباحث بعض الأساليب الإحصائية المناسبة مثل: الجداول البسيطة مع النسب المئوية ودلالة العلاقة بين المتغيرات اختبار (كا٢).

واعتمدت دراسة **(رياض: ٢٠٠٢)** على المنهج الوصفى لوصف الجريمة وأساليبها ووصف المجرم، ومنهج دراسة الحالة لبعض المجرمين المتهمين بقضايا السرقة والنصب، ومنهم مسجلين خطر، وكذلك المنهج الأنثروبولوجى وأدواته ومنها: الملاحظة والمقابلة ودليل العمل الميدانى، واستعانت بأداة التصوير الفوتوغرافى لمجتمع البحث، وبالوثائق والسجلات والإحصاءات الرسمية. وقد بلغ عدد حالات الدراسة المتعمقة (١٨ حالة) من أفراد القرية ومن المسجونين بداخل سجن قسم شرطة السنبلاوين بمحافظة الدقهلية باعتبار أنهم يمثلون مجتمع الجريمة. واستعانت دراسة **(عاشور: ١٩٩٢)** بالمنهج الجغرافى والأيكولوجى الذى يعتمد على

البعدين الزمانى والمكانى، بالإضـــافة إلى التحليلات الإحصـــائية من تقارير الأمن العام، والجرائم التى وقعت في بعض مراكز وقرى محافظة الشرقية، وقام الباحث بإجراء مقابلات مع بعض المسجونين في قضايا المخدرات بسجن الزقازيق العمومى.

ســـابعًا: الدراســـة الأنثروبولوجية الشـــاملة للجريمة في الريف: النموذج التطبيقى

بالرغم من أن دراســـة (الجريمة في الريف) لم يكن هدفها الأســـاســـى تطوير المنهج الأنثروبولوجى، إلا أن الباحثة قامت بإجراء دراســـة أنثروبولوجية لرصـــد أنماط الجريمة في الريف والكشـــف عن أيكولوجيا انتشـــارها في أنماط متباينة من البيئات الجغرافية والثقافية، وأيضًـــا التعرف على آليات التصـــدى لها. وفي أثناء إجراء الدراســـة وعمليات الجمع النظرى والميدانى تبين للباحثة أنها أثمرت عن نتائج منهجية قيمة تســـاهم في تطوير المنهج الأنثروبولوجى، من خلال استخدام أسلوب الدراسة الشاملة أو "المسح الأنثروبولوجى" ليست بالشـكل المعروف في البحوث الاجتماعية الكمية، حيث منهج المســح الاجتماعى واســتخدام العينات الكبيرة وتطبيق أداة الاستبانة، ولكن باستخدام طريقة المسح الأنثروبولوجى وهى ليست بالأمر المقبول لدى الكثير من الباحثين في علم الاجتماع.

كما تبين للباحثة من خلال الاطلاع على بعض البحوث الأنثروبولوجية ندرة اســتخدام هذا الأسـلوب أو الطريقة، حيث توجد إشـارات قليلة إلى اسـتخدام المسـح مع أدوات ووسـائل المنهج الأنثروبولوجى. على ســـبيل المثال: بحثًا أُجرى عام ١٩٨٥ بعنوان "تحت الســـطح" تناولت فيه "علياء شـكرى" فعالية اسـتخدام طرق البحث الأنثروبولوجى وهى المسـح، وتوجيه الأســـئلة، والملاحظة، وكيف تعكس هذه الطرق مســـتويات مختلفة من التعمق في البحث. (عثمان، ٢٠١٦، ص.٢١٦) وبحثًا آخرًا بعنوان "الهدر البيئى والاســـتقرار الاقتصـــادى

والاجتماعى رؤية مورفولوجية لقرى بحيرة قارون"، استخدمت فيه "عايدة فؤاد" المدخل الأيكولوجى ليتسنى لها دراسة العلاقة بين الوسط البيئى المحيط بخصائصه الطبيعية والبيئة الاجتماعية للمجتمع، معتمده على طريقة المسح الشامل لمجتمعات الدراسة (١٧ قرية وعزبة) في إطار المنهج الأنثروبولوجى. (عوض، ٢٠١٩، ص.٦٨)

وجدير بالذكر أنه في حدود ما اطلعت عليه الباحثة في التراث المعنى بتطوير المنهج الأنثروبولوجى ومناهج الدراسات الكيفية في عمليات الجمع الميدانى، لاحظت أن عدد المجتمعات التى تم دراستها عن طريق المسح الأنثروبولوجى لا يقل عن ٣ ولا يزيد عن ١٧ مجتمعًا محليًا سواء ريف أم حضر أم ريف وحضر معًا. بينما أجرت الباحثة دراستها الميدانية – كباحث فرد – على ٢٥ قرية، وفي موضوع له خصوصيته ويمثل في حد ذاته إشكالية لدراسته في المجتمع الريفى، ألا وهو الجريمة وما تمثله من خطورة في عرف أفراد هذا المجتمع فلا يمكن الحديث عنها بسهولة. ومن ثم، تظهر أهمية التعرف على منهجية هذه الدراسة؛ لتوضيح قيمتها وما انتهت إليه من نتائج غزيرة تتسم بالدقة والعمق، وتؤكد تطور المنهج الأنثروبولوجى كأحد مناهج الدراسات الكيفية. ويتضح ذلك على النحو التالى:

بدأت الدراسة بإجراء دراسة استطلاعية: لاختيار مجموعة من القرى بمحافظة الشرقية، وذلك من خلال الاستعانة بأسلوب المسح الأنثروبولوجى، وقد استغرقت فترة ثلاثة أشهر؛ من أجل التعرف على الملامح العامة لموضوع الدراسة وأكثر القرى التى تنتشر فيها الجريمة بتطبيق دليل مسح القرى، وإجراء زيارات ميدانية بمعدل من ٢ إلى ٣ أيام لكل قرية، ودراسة الحالات التى استغرقت فترات طويلة ومتعمقة. والجدير بالذكر أن فترة الانفلات الأمنى أثناء الثورة قد أعاقت الباحثة في الحصول على إحصاءات رسمية عن الجريمة عمومًا؛ ولذلك اقتصرت على رصد الجرائم وتتبعها من الإخباريين وحالات الدراسة، وقد تطلب ذلك

إجراء الدراسة الميدانية على فترات زمنية مكثفة أحيانًا ومتتابعة أحيانًا أخرى، وفي الحقيقة فإن معايشة الباحثة لقرى الدراسة لم تنقطع حتى كتابة الصفحات الأخيرة من الدراسة.

وفي إطار تطوير المنهج الأنثروبولوجى تم الاستعانة بأسلوب المسح الذى يندر استخدامه في البحوث الأنثروبولوجية؛ لأنها تقوم على دراسة عدد واسع من المجتمعات المحلية لتحقيق العمق وإجراء الدراسة الكيفية. وهذا المسح لم يتم باستخدام المنهج الإحصائى، ولكن من خلال الاستعانة بدليل جمع ميدانى والإخباريين والمقابلات التى لم تستلزم الإقامة والمعايشة لفترات طويلة، حيث قامت الباحثة بإجراء مسح أيكولوجى على مجموعة من القرى بلغ عددها ٢٥ قرية موزعة جغرافيًا على خريطة محافظة الشرقية. ومن أجل تحقيق المعايشة والعمق والوصول إلى نتائج أكثر دقة، تم إجراء دراسة متعمقة لعدد ثلاث قرى من قرى المسح الأيكولوجى، وكانت الاستراتيجية المنهجية للدراسة هى كالتالى:

١- مناهج الدراسة:

المنهج الأنثروبولوجى هو الأساس إلى جانب منهج دراسة المجتمع المحلى، ومنهج دراسة الحالة، ونعرض لهما على النحو التالى:

أ- منهج دراسة المجتمع المحلى:

استعانت الدراسة بمنهج دراسة المجتمع المحلى في إطار المنهج الأنثروبولوجى، وذلك من خلال إجراء دراسة وصفية لمحافظة الشرقية من حيث: النشأة التاريخية، والحدود الجغرافية والأيكولوجية، وتعداد سكانها، ومدى ارتباط ذلك بأنواع الجرائم التى تُرتكب فيها، ومدى انتشار هذه الجرائم. وحددت الدراسة هدفها منذ البداية في دراسة محافظة الشرقية؛ **نظرًا لتوافر مجموعة من المعايير هى:**

– أنها محافظة ريفية أكثر منها حضرية تضم العديد من القرى، وتتميز بالخصوبة السكانية العالية، كما تعد أولى محافظات الجمهورية في عدد السكان الريفيين والبالغ عددهم (٤,٤٦٢) مليون نسمة بنسبة ٩,٩٪ من إجمالى جمهورية مصر العربية. (الشرقية أون لاين: ٢٠١٠/٧/١)

– تنوع أنماط القرى داخل المحافظة ما بين: الريفية شبه البدوية، والريفية التقليدية، والريفية شبه الحضرية، مما يفيد في الكشف عن تنوع الجريمة ومدى انتشارها.

– أن الحدود الجغرافية لمحافظة الشرقية تتاخم الكثير من المناطق المتنوعة جغرافيًا، حيث طبيعة هذه المناطق (الجبلية، والصحراوية، والساحلية)، كما تتاخم قرى المحافظة هذه المناطق التى تكشف خصائصها عن تباين نمط الجريمة وحجمها في قرى مجتمعات الدراسة، فالتنوع في أنماط الجرائم يدل على تنوع أنماط هذه القرى.

– أن الباحثة من أبناء المحافظة ولها إقامة ثابتة بإحدى قراها، مما يسهل من تحقيق الإقامة والمعايشة في قرى الدراسة.

وانطلاقًا من التعريف بالمحافظة ومبررات اختيارها، تم دراسة مجموعة من القرى سيتضح مبررات اختيارها في المسح الأنثروبولوجى.

ب- المنهج الأنثروبولوجى:

استخدمت الدراسة أسلوب المسح الأنثروبولوجى: ففى إطار تطوير المنهج الأنثرولوجى الذى أسسته الأستاذه الدكتورة "علياء شكرى"، فإن الدراسة استعانت بهذا الأسلوب؛ بهدف اختيار مجموعة من القرى تكون ممثلة لمحافظة الشرقية؛ لذا استعانت الباحثة بالمسح الأيكولوجى لاختيار قرى موزعة جغرافيًا وأيكولوجيًا على خريطة المحافظة. وكان الهدف من المسح – أيضًا – حصر أعداد الجرائم التى تم ارتكابها في القرى محل

الدراسة خلال فترة الدراسة الميدانية، حيث الكشف عن أنواع هذه الجرائم ومدى انتشارها، والوقوف بشكل عام على خصائص مرتكبى الجريمة وفهم بنية القرية الريفية وارتباطها بالجرائم التى تُرتكب فيها، وتوزيع أنواع الجرائم على الخريطة؛ لفهم مدى ارتباط طبيعة القرى الجغرافية والأيكولوجية والاجتماعية والثقافية وانتشار جرائم بعينها دون غيرها.

وبالنسبة لخطوات إجراء المسح الأنثروبولوجى والنزول الميدانى، قامت الباحثة في البداية بإجراء دراسة استطلاعية تم ذكرها آنفًا؛ بهدف زيارة مجموعة كبيرة من القرى – قد تصل إلى قريتين في يوم واحد – لمعرفة الشائع عنها، ثم الاستعانة بخريطة محافظة الشرقية وتوزيع القرى عليها، وعند حصر أعداد قرى المحافظة وجد أنها ٥٠٠ قرية، وكان لابد من اختيار قرى ممثلة للمحافظة وموزعة جغرافيًا وأيكولوجيًا على الخريطة؛ **لذا وضعت الباحثة عدة معايير لاختيار القرى التى سيجرى عليها المسح الأنثروبولوجى، وهى:**

– تنوع حجم القرى بين قرى أم وقرى تابعة.

– أن تكون هذه القرى موزعة جغرافيًا وأيكولوجيًا على خريطة محافظة الشرقية بين الشمال والجنوب والشرق والغرب ووسط المحافظة.

– انتشار الجريمة وتنوعها وفقًا لما حدده الإخباريين عن تلك القرى.

– أن يتضمن المسح قرى تتسم بوجود بدو فيها، وقرى آخرى حضرية إلى جانب القرى التقليدية، حيث تنوع هذه القرى ما بين: ريفية شبه بدوية، وريفية تقليدية، وريفية شبه حضرية.

وقد اختارت الباحثة عدد ٢٥ قرية تتوافر فيها المعايير السابقة، وجدير بالذكر أن هذا العدد يمثل نسبة ٥٪ من اجمالى قرى محافظة الشرقية. وعلى الرغم من اتساع نطاق الدراسة الميدانية على هذا العدد الكبير من المجتمعات المحلية، فإنها حاولت كباحث فرد أن تجرى

الدراسة الكيفية مستعينه بالإخباريين – الذين لعبوا الدور الأساسى في الدراسة – للمساعدة في اختيار القرى التى تنتشر فيها الجرائم بأنواعها وبالتالى الوصول لها، وبعد تحديد هذه القرى تم إجراء زيارات ميدانية. وكان النزول للقرى يتم وفقًا لما يقوم به الإخباريين من تيسيرات ومتابعة للباحثة مع أهالى القرى، وأيهما مستعد للزيارة وإجراء المقابلة معه.

وتم إعداد دليل موجه لجمع المادة الميدانية من هذه القرى. ومن أجل فهم طبيعة القرية والجرائم التى تنتشر فيها، تم الاستعانة بالإخباريين من كل قرية، وهناك بعض القرى التى كان للباحثة معارف بها، وقرى آخرى استعانت بإخباريين من جهات معنية مثل: العاملين في الشئون الاجتماعية، والجمعية الزراعية، وجمعية تنمية المجتمع المحلى، وشيخ المسجد، والعمداء وخفراء القرى، وكذلك العاملين في الشرطة مثل العسكرى وأمين الشرطة، والمدرسين. وقد ساعد الإخباريون الباحثة في الوصول إلى أسر وأقارب بعض الضحايا والجناه، والتى أجرت معهم المقابلات الفردية والجماعية.

وفيما يتعلق بتنميط قرى مجتمعات الدراسة، قامت الباحثة بجمع بيانات متنوعة عن تلك القرى من حيث: خصائصها السكانية، والاقتصادية، والجغرافية، والأيكولوجية؛ للكشف عن تباين نمط الجريمة وحجمها في كل منها، وخلصت إلى تنميط هذه القرى الـ (٢٥) جغرافيًا وبيئيًا، وقسمتها إلى: **القرى الريفية شبه البدوية:** مثلت ست قرى، وتقع في الجهة الشمالية الشرقية بالقرب من جبال الصالحية والأراضى المستصلحة بمحافظة الشرقية، والجزر المائية في "بحيرة المنزلة" بمحافظة الدقهلية، والمناطق الساحلية بمحافظة بورسعيد.

و**القرى الريفية التقليدية:** مثلت عشر قرى، وتقع في الجهة الشمالية الغربية لمحافظة الشرقية، وجدير بالذكر أن هذه القرى يشاع عنها داخل المحافظة أنها مجاورة للبؤر الإجرامية، إلى حد أن الإخباريين يطلقون عليها اسم "مثلث الرعب والجريمة".

و**القرى الريفية شبه الحضرية:** مثلت تسع قرى، وتقع في الجهة الجنوبية الشرقية والغربية بالقرب من "الهامش الصحراوى"، ومنطقة "سجون أبو زعبل"، وإحدى البؤر الإجرامية – في تجارة المخدرات – التابعة لمركز شبين القناطر بمحافظة القليوبية.

ج- منهج دراسة الحالة:

تم الاستعانة بمنهج دراسة الحالة من خلال أدوات المنهج الأنثروبولوجى كالمقابلة والملاحظة، وذلك على مستوى قرى الدراسة، والحالات الفردية من (الجناة والضحايا) الذين تم الوصول إليهم واختيارهم عن طريق الإخباريين. ويتم استخدام دراسة الحالة أثناء المقابلات المتعمقة لحالات الدراسة التى وقع الاختيار عليها كحالات فردية؛ ومن أجل الوصول إلى العمق في تناول الظاهرة المدروسة، كان على الباحثة اختيار حالات لتحقيق التعمق في فهم الجريمة، وخصائص مرتكبيها وضحاياها، وعوامل ارتكابها، وآليات مواجهتها في قرى الدراسة؛ **لذا وضعت عدة معايير لاختيار الحالات هى:**

– أن تكون ممثله للأنماط الرئيسة لقرى الدراسة وهى شبه البدوية، والتقليدية، وشبه الحضرية.

– كان المعيار الأساسى في اختيار حالات الدراسة هو تنوعها وفقًا لنوع الجريمة في القرية.

– تنوع الحالات وفقًا للحالة الجنائية ما بين جناة وضحايا، وكذلك نوعية العلاقة بين أطراف الجريمة من حيث ما إذا كانت الجريمة وقعت من داخل دائرة القرابة أم خارجها.

– تنوع الحالات وفقًا للخصائص الديموجرافية من حيث: (النوع، والعمر، والحالة الزواجية، والتعليم، والمهنة)، والتى يمكن من خلالها أن تستقى مؤشرات للتنوع الطبقى بين الحالات.

ومن أجل التوصل للحالات، فإن المسح الذى أجرته الباحثة أمكنها من تحقيق المعيار الأول، وتم اختيار ثلاث قرى ممثله لقرى الدراسة تستطيع من خلالها تحقيق المعايشة والإقامة فيها. وتم اختيار خمس حالات من كل قرية، وهذه الحالات ممثلة لأنواع الجريمة وخصـــائص الجناة والضحايا، كما تم التوصل إلى الحالات عن طريق الإخباريين من القرى، وأحيانًا كانت الحالة تساعد في التوصل إلى حالة أخرى.

وفيما يخص المعيار الثانى الخاص بالجريمة، تم اختيار الحالة التى من الســـهل الوصول إليها وتكرار المقابلة والتعمق فيها، وهى حالات ممثله لأنواع الجريمة باستثناء جريمة القتل؛ لأن الجانى محكوم عليه والضـــحية أســـرتها ترفض إجراء المقابلة والحديث معها عن الجريمة.

ووقع الاختيار على ١٥ حالة (بواقع خمس حالات من كل قرية) تتوفر فيها المعايير سابقة الذكر. وتم الاستعانة بمصادر لجمع البيانات يمكن عرضها على النحو التالى:

٢- مصادر وأدوات جمع البيانات:

أ- مصادر جمع البيانات:

تنوعت مصـــادر الحصـــول على البيانات والمعلومات النظرية والكمية والكيفية (الميدانية)، المتعلقة بالجريمة وأنواعها، وخاصـــة البيانات المرتبطة بالجريمة الريفية، وتمثلت هذه المصادر فيما يلى:

- مصادر البيانات القانونية:

تم الرجوع إلى الكتب القانونية، والإصدارات التشريعية، وملحق المحاماة، خاصة في إطار القانون الجنائى وقانون العقوبات المتعلق بالجريمة بكل تقســـيماتها من بســـيط مثل المخالفات والجنح، وحتى الجناية أو الجريمة الخطيرة، وذلك للتعريف بالجريمة وأنواعها

والعقوبات الخاصة بها، وكذلك الرجوع إلى العاملين في الشرطة والجهات الأمنية. كما راعت الباحثة عند تصنيف أنواع الجريمة الاطلاع على تقرير الأمن العام لعام ٢٠١١، الذى تم الحصول على نسخة مصورة من فهرس محتوياته بمساعدة أحد العاملين في مصلحة الأمن العام، واعتمدت عليه في تقسيم أنواع الجرائم التى تم ارتكابها في القرى.

- مصادر البيانات الإحصائية:

تجدر الإشارة هنا إلى أنه كانت هناك صعوبة بالغة في حصول الباحثة على إحصاءات رسمية عن الجريمة سواء من مصلحة الأمن العام، أو من مديرية أمن الشرقية أو من أية جهة رسمية أخرى، وذلك بعد محاولات عدة قامت بها الباحثة ولم تتمكن من تحقيق هدفها؛ نظرًا للظروف الأمنية المشددة التى يمر بها المجتمع المصرى خلال فترة الثورة وما بعدها؛ ولذلك حاولت الباحثة الاستفادة من بعض البيانات الإحصائية التى استطاعت الحصول عليها من النشرة السنوية لإحصاءات الخدمات الاجتماعية بالجهاز المركزى للمحاسبات، وكانت هذه الإحصاءات خلال السنوات من ٢٠٠٥ إلى ٢٠١١، ولكن سقط من هذه المنشورات بيان إحصائى لعام ٢٠١٠ – بسبب الأحداث التى سبقت الثورة خلال هذا العام –؛ ولذلك كان عدد سنوات هذه الإحصاءات هو ست سنوات، كما حاولت الباحثة حصر أعداد الجرائم التى رصدتها من قرى الدراسة وفقًا لأنواعها خلال الفترة من عام ٢٠٠٩ إلى ٢٠١٣، وعرضتها في الدراسة الميدانية وفقًا لخطورتها القانونية.

- مصادر البيانات الكمية المسحية:

إلى جانب الإحصاءات الرسمية الجاهزة، قامت الباحثة بإجراء مسح إحصائى بمساعدة بعض الأفراد من قرى الدراسة؛ وذلك لحصر أعداد المنشآت، كما استعانت ببعض الأهالى من ذوى الخبرة للتعرف على الخدمات المتوافرة داخل هذه القرى، وكذلك محاولة

حصـــــر أنواع من الجرائم التى ارتُكبت فيها، مثل بعض أنواع من جرائم القتل العمد، والثأر، والانتحار، والخطف، وهى البيانات الكمية التى تم تجميعها من خلال الدليل المحور الخاص بالمسح الأنثروبولوجى للقرى، وكذلك المحور الخاص بالحالات.

وقد واجهت الباحثة صعوبة إجراء المقابلة مع طرفى الجريمة معًا، فضلًا عن خطورة بعض الجرائم وصعوبة مقابلة أى من طرفيها أو التعرف على كافة جوانب الجريمة من الجانى أو الضـــحية، وكان يتم تعويض هذا النقص بمســاعدة بعض الإخباريين المقربين إلى الباحثة وفي نفس الوقت على معرفة مباشـرة بأى من طرفى الجريمة، فضـلًا عما تسـمعه الباحثة من الناس عفويًا عند زيارة بعض الأسر، أو عند حضور بعض المناسبات الاجتماعية للأسر، أو عند ركوب المواصلات، أو مرورها في شوارع القرى.

- مصادر البيانات الميدانية:

لم تقتصـر الدراسـة فقط على البيانات الإحصـائية والمسـحية، بل اعتمدت في المقام الأول على التحليل الكيفى لأقوال الإخباريين من أبناء مجتمعات الدراســـة، وخاصـــة هؤلاء الإخباريون الذين لهم صـــلة مباشـرة بموضـوع الدراسـة، وكذلك من هم على علاقة مباشـرة بأحداث الجريمة ســواء أكانوا أقارب للجناة أم الضـــحايا؛ ولذلك تنوع الإخباريين وكثر عددهم من القرى. هذا إلى جانب التركيز على عدد من الحالات وفقًا للجريمة وأنواعها، فقد كانت الجريمة في القرية هى الأساس في التعرف على الحالة المدروسة، سواء أكانت هذه الحالة من الجناة أم الضحية؛ ولذلك فقد اهتمت الدراسة كثيرًا بالبيانات التى تم جمعها من خلال المعايشة والملاحظة والمقابلة المتعمقة مع الكثير من أبناء القرى والحالات.

ب- أدوات جمع البيانات: استعانت بأدوات المنهج الأنثروبولوجى منها ما يلى:

- الملاحظة:

تظهر أهميتها لكل من مجتمع الدراسة والظاهرة التى يتم ملاحظاتها، فقد جرت الملاحظة لكل من قرى مجتمعات الدراسة، والأفعال والسلوكيات الظاهرة لأفراد وأهالى هذه القرى في مختلف مواقف التفاعل الحياتية من حيث: الوصف المادى ورصد للتفاعلات الخاصة بالأنشطة الانحرافية وارتكاب الجريمة، وأماكن حدوثها، **ويعكس ذلك تعدد المواقف التى استعانت فيها الباحثة بالملاحظة ومن أهمها:**

- استعانت الباحثة بالملاحظة في وصف قرى مجتمعات الدراسة، ووصف الشوارع وشكل المساكن من الخارج والداخل، والأماكن المعروفة بحدوث انحرافات وجرائم فيها مثل "العشش"، والحقول الزراعية، والمقابر، وطرق النقل، والكبارى، حيث توضيح العلاقة بين البيئة الأيكولوجية لهذه القرى ووقوع الجريمة فيها، وأيضًا ملاحظة بعض المواقف الحياتية بين أبناء القرى وتفاعلاتهم المختلفة التى يصدر عنها حدوث انحرافات وارتكاب جريمة.

- كما سهلت الملاحظة على الباحثة الوقوف على بعض المواقف الحياتية، خاصة جلسات التعاطى التى تتم في شوارع القرى في مناسبات الأفراح والأعياد والموالد، وقد تعكس هذه المناسبات الثقافة السائدة في القرى من حيث وصف كل ما يحدث بين الأهالى، وكذلك ما تعكسه هذه الثقافة من انحرافات وجرائم تُرتكب بين أبناء هذه القرى.

- كشفت الملاحظة عن تعدد مواقف نزاعات الأفراد التى تكشف عن تنوع التفاعلات اليومية بين الأقارب والجيران داخل القرى، وتعكس هذه النزاعات الأنشطة الانحرافية والسلوك الاجرامى الذى يرتكبه بعض البلطجية داخل القرى أثناء هذه النزاعات، ثم الوقوف على كثير

من تفاصـــيل الحياة اليومية لبعض الحالات وهم في القرية، حيث تتبع الجرائم التى ارتكبوها كجناة أو ارتكبت ضدهم كضحايا داخل قرى مجتمعات الدراسة.

– يضـــاف إلى ذلك ملاحظة بعض التصـــرفات – كالخجل والكســـوف والاســـتنكار والشـماتة والحزن والخوف – التى تصـدر من الأفراد أثناء إجراء المقابلات معهم، والتى يمكن أن نستشف منها واقع الجريمة في القرى وعوامل حدوثها ورد الفعل المجتمعى تجاهها، وكذلك ملاحظة ردود أفعال الناس تجاه الجرائم التى وقعت أثناء الدراسة الميدانية.

– وأخيرًا ساعدت الملاحظة في الكشف عن بعض التصرفات وأشكال التحايل التى يقوم بها الأفراد داخل القرى؛ من أجل أخذ حقوقهم وقضـــاء مصـــالحهم فإنهم يبررون لفظيًا – عكس ما يظهر عليهم – هذه التصرفات بحجج ثقافية، خاصة بعض المصالح المشتركة فيما بينهم والتى يصدر عنها النزاع وتؤدى إلى حدوث الجريمة، فعلى سبيل المثال أساليب التحايل التى يقوم بها بعض الأهالى في سـرقة المحاصـيل الزراعية، أو التزوير في الأوراق الرسـمية عند زواج الفتيات قبل السـن القانونى، أو لجوء بعض السـيدات من الأرامل والمطلقات داخل هذه القرى للزواج عرفيًا دون اسـتخراج شـهادات رسـمية؛ للتحايل القانونى بعدم انقطاع معاش الزوج أو الأب المتوفى، إذا كانت المرأة تقيم عند والدها بعد وفاة زوجها أو طلاقها منه.

– المقابلة:

اعتمدت عليها الباحثة في جمع المعلومات الميدانية سواء في مرحلة الدراسة المسحية التى أجرتها على القرى أم الدراســـة الميدانية التى طُبق فيها دليل العمل الميدانى، وكان لهذه الوسيلة أثر عميق في معايشة الباحثة لأفراد القرى بغرض البحث والدراسة؛ وذلك نظرًا لطبيعة موضـوع الدراسـة حيث التعرف على مشـكلات الناس ونزاعاتهم ومشـاجراتهم معًا بشـكل يسـهل من وقوع جرائم بينهم، وعلاقة كل ذلك بالتغيرات الاقتصـــادية، والســـياســـية، والاجتماعية،

والثقافية ... إلخ، والتى حدثت في بنية هذه القرى، وما ينجم عنها من ممارسة بعض الأفراد للأنشطة الانحرافية وارتكاب أنواع من الجريمة، ولأن الباحثة من أبناء إحدى قرى المحافظة التى تقوم بإجراء الدراسة فيها، فقد حرصت على التكتم الشديد على ما تسمعه من الإخباريين، وخاصة الأمور التى تمس سمعة بعض العائلات داخل القرى، ولأن المجتمع الريفى تشيع بين أفراده شائعات كثيرة تتعلق بالمرأة والجرائم الأخلاقية فقد حرصت على كسب مزيد من الثقة ومراعاة أخلاقيات البحث العلمى. وكانت المقابلة تجرى مع الإخباريين من داخل القرى وخارجها وفقًا لما تسمعه من أخبار عن جرائم أو سلوكيات انحرافية تمارس في قرية من القرى، فكانت تتابع هذه الأخبار بإجراء مقابلات مع بعض الأفراد، سواء الذين هم على علاقة مباشرة مع أطراف الجريمة أو من المجاورين لهم أو اللجوء إلى العمد والمحامين وعسكرى أو أمين الشرطة، وكل من له صلة بالموضوع للتعرف على تفاصيل هذه الجرائم.

كما اهتمت الباحثة بمقابلة أحد أطراف الجريمة من الجناة – كتاجر المخدرات – أو الضحايا، كلما أمكن ذلك ووفقًا لطبيعة الجريمة أو السلوك المنحرف الذى وقع داخل القرية ووفقًا للجرائم التى وقعت أثناء الدراسة؛ ولذلك فقد أجريت المقابلة على مستويين أحدهما شمل المقابلات المفتوحة التى تمت بهدف إقامة علاقات ودية بين الباحثة وبعض الإخباريين، والمستوى الآخر تم فيه إجراء المقابلات المقننة مع بعض الحالات التى هى طرف في الجريمة – كلما أمكن ذلك – وهى مقابلات موجهة بدليل لجمع المادة الميدانية المطلوبة، وأخذت هذه المقابلات شكلًا منظمًا ما بين مقابلات فردية وجماعية على النحو التالى:

– المقابلات المفتوحة:

أجريت مقابلات مع عدد كبير من أفراد القرى، وكذلك الإخباريين الذين تعرفت عليهم الباحثة خلال المواقف المختلفة داخل القرى وخارجها مثل سائقى الميكروباصات وأصحاب المقاهى والغرز، فكانت هناك مقابلات جماعية مع بعض الإخباريين عند إجراء زيارات

اجتماعية لبعض الأسر والعائلات من الأقارب والجيران داخل قرى الدراسة، كما كانت الباحثة تجرى بعض المقابلات الجماعية أثناء سفرها للعمل من القرية إلى القاهرة؛ لذلك كانت تقابل أفرادًا من مختلف قرى ومراكز المحافظة، وكانت تجرى حوارات فردية وجماعية عن موضوع دراستها.

- المقابلات المتعمقة:

هى تلك المقابلات التى تمت مع بعض الحالات وفقًا لنوع وطبيعة الجريمة التى وقعت داخل القرية، وكانت هذه المقابلات مقننة وموجهة بدليل عمل ميدانى، وكانت البؤرة الرئيسة في دراسة الحالة هى الأسرة كوحدة معيشية حيث إجراء مقابلات مع الزوجين وأقاربهم، وكانت هذه المقابلات متكررة وعلى فترات طويلة. كما تنوعت أماكن إجراء مقابلات الإخباريين والحالات بما يتناسب مع ظروفهم وحساسية موضوع الجرائم وخطورتها ما بين الشارع والسوق والمواصلات، وأماكن العمل، وفي منازل الأقارب والجيران. وكانت المقابلة تتم بشكل جماعى وفردى، ونظرًا لطبيعة القرية وما يسودها من علاقات الجيرة المباشرة فقد تتدخل آراء أخرى كثيرة في الحديث عن موضوع الدراسة، الذى ظهرت أهميته بشكل خاص في فترة اندلاع الثورة مباشرة وما حدث من انفلات أمنى وانتشار للجرائم، وأتاح الفرصة لأبناء القرى أن يتحدثوا عنه، وعلى الرغم من ذلك فلم تتجاهل الباحثة هذه الأحاديث.

- الإخباريون:

استعانت الباحثة بالإخباريين من مختلف الفئات والأعمار والمهن، ومن الذكور والإناث داخل القرى، كما اعتمدت على الإخباريين من كبار السن والشباب، والذين كانوا مفتاح أساسى لدخول القرى والوصول للأسر وأطراف الجريمة، بجانب الاستعانة بالمسئولين في أجهزة الحكم المحلى والعاملين بالجمعية التعاونية الزراعية، وجمعيات تنمية المجتمع بقرى

الدراســـة، والمحامين والعمد الذين على معرفة بأدق التفاصـــيل لحياة أهالى القرى، وكذلك العاملين في أقسام الشرطة ومديرية أمن الشرقية الذين بإمكانهم معرفة الجرائم وإخبار الباحثة بها، وتمت المقابلات معهم والاستماع إلى كل ما يفيد موضوع الدراسة. كما ساعد الإخباريون في التعرف على بعض الحالات؛ لذلك كثر عددهم وتنوعت قرى إقامتهم ما بين القرى محل الدراسة وقرى أخرى داخل المحافظة.

- دليل جمع المادة الميدانية:

تم الاعتماد في تصميم الدليل على عدد من المصادر منها: الدراسات السابقة وبصفة خاصة ذات الطابع الأنثروبولوجى، أو التى أجريت عن قرى الدراسة مثل دراسة "محمد عبده عاشور، جغرافية الجريمة في محافظة الشرقية، ١٩٩٢"، والتى وجهت الباحثة في صياغة الأسئلة وعملية الجمع الميدانى، بالإضافة إلى المراجع والمصادر المكتبية، ونتائج الدراسة المسحية للقرى، وما أفرزته الدراسة الميدانية من موضوعات. وصُمم دليل واحد ضم أسئلة المجتمع المحلى وقرى وحالات الدراسة، وقُسم الدليل إلى ثلاثة محاور أساسية هى: الأول، خاص بدراسة المجتمع المحلى لمحافظة الشرقية، الثانى، خاص بالدراسة المسحية لقرى الدراســـة، الثالث وهو الأخير، خاص بالدراســـة المتعمقة للحالات، حيث يتميز دليل العمل الميدانى بالمرونة وأنه قابل للتعديل والإضافة والحذف طوال فترة الدراسة الميدانية، وجاءت بنود الدليل موزعة حسب موضوعات الدراسة.

- التصوير الفوتوغرافى والفيديو:

بواســطة الهاتف المحمول؛ لتوثيق الملاحظة وتوضـــيح بعض أشـــكال الأنشـــطة الانحرافية التى يمارسها بعض الشباب والرجال في مناسبات معينة، فعلى سبيل المثال حمل الشباب للأسلحة البيضاء مثل السكاكين والمطاوى والسواطير والرقص بها مع العوالم في

الأفراح، فضـلًا عن جلسـات تعاطى المخدرات التى تتم في شـوارع القرى أثناء إقامة الأفراح، والأنشـطة الانحرافية والجرائم التى تقع في الأسـواق، وفي مختلف المناسـبات التى يتجمع فيها الأهالى داخل قرى الدراسـة، وخاصـة التجمع أثناء المشـاجرات، وكذلك الاسـتعانة بالفيديوهات التى قام بتصـــويرها بعض الأهالى، على ســـبيل المثال تصـــوير قتل البلطجية والمجرمين والتمثيل بجثثهم في شـوارع القرى. ونظرًا لأن الباحثة إذا سـافرت إلى قرية من القرى لتصـوير الجريمة فيها ستكون أحداث الجريمة قد انتهت؛ لذلك فقد استعانت بالفيديوهات المسجلة التى تم الحصـــول عليها من أصـــحاب الأفراح وأهالى القرى أثناء وقوع الجريمة وتصـــويرها بأجهزة المحمول، إلى جانب ما ذكره الإعلام عن هذه الجرائم.

كما اسـتعانت الدراسـة بالتصـوير الفوتوغرافى لتوضـيح الطبيعة الأيكولوجية للقرى، وكذلك الأماكن التى تنتشـــر فيها الجرائم أو يختفى فيها المجرمين مثل: الكبارى، والعشـــش، والحقول الزراعية، ومزارع الدواجن، ومخازن الخردة، وهى أماكن ذات خصـــائص أيكولوجية تسهل من ارتكاب الجريمة في القرى.

- الخرائط التوضيحية:

اعتمدت على بعض تقنيات البحث الحديثة، وذلك من خلال الاســـتعانة بأحد المتخصـصـين في إعداد الخرائط الطبوغرافية من هيئة المسـاحة المصـرية لمعرفة مسـاحات القرى خلال عام ٢٠١١، وكذلك أحد الجغرافيين المختصـــين في رســـم الخرائط الجغرافية باستخدام برنامج الـــ (GPS) لتوضيح موقع قرى مجتمعات الدراسة على خريطة المحافظة، وكذلك توزيع الجرائم على هذه القرى؛ وذلك لأن الجريمة لها خصـوصـية جغرافية متأصـلة، حيث تحدث في مكان جغرافى له موقع على الخريطة، كما يلعب المكان دورًا حيويًّا في فهم عوامل الجريمة ومعالجتها؛ وذلك لأن المجرمين يرتكبون جرائمهم في أماكن يمكن تحديدها على الخريطة، فالمكون الجغرافى الهام لدراســـة الجريمة يركز على الصـــاق كل جريمة على

المكان الذى وقعت فيه على الخريطة، وأكثر الذين اهتموا بذلك هم علماء "مدرسة شيكاغو" وذلك من خلال الكشف عن العلاقة بين الجريمة والبيئة بخصائصها الأيكولوجية والاقتصادية والاجتماعية؛ للتعرف على توزيعات الجريمة وأماكن وقوعها أو انتشارها. (Chainey & Ratcliffe, 2005, p.1,2)

خاتمة:

انتهى البحث إلى تسليط الضوء على أهمية العلاقة بين المنهج الأنثروبولوجى وتطوير مناهج الدراسات الكيفية، من خلال عرض نموذج عملى لهذه الدراسة التى انتهت إلى الكثير من النتائج على مستوى الجريمة وأنماطها (التقليدية والمستحدثة) وأيكولوجيا انتشارها وفقًا لأنماط قرى الدراسة، وآليات التصدى لها قانونيًّا وعرفيًّا حسب طبيعة كل جريمة والعلاقة بين طرفيها، وعلى مستوى قرى الدراسة وأنماطها البيئية والثقافية. وتؤكد هذه النتائج أهمية المنهج الأنثروبولوجى وأساليبه المختلفة خاصة أسلوب الدراسة الشاملة أو "المسح" في تدريب الباحثين على جمع بيانات كيفية غزيرة عن موضوعات معينة – كالجريمة في الريف – لا تتوفر عنها إحصاءات رسمية، ويخشى الباحثين من الحديث عنها مع أفراد المجتمع الريفى إلا من خلال استخدام مناهج علمية متطورة كالتى تم استخدامها هنا، وبالتالى تمكنت من تحقيق هدفها الخاص. والهدف العام من وراء إعداد البحوث العلمية المتخصصة.

استخلاصات البحث:

– أوضح البحث أن الأنثروبولوجيا نشأت كعلم استعمارى. ويؤكد تاريخ الأنثروبولوجيا أنها قدمت للاستعمار الكثير من المعطيات الإثنوجرافية التى استغلت لأغراض استعمارية خالصة، لذا فهى اليوم مطالبة بخدمة المجتمعات المحلية من خلال الاستفادة من خبرة الباحثين الأنثروبولوجيين في معرفة ثقافة مجتمعاتهم بعاداتها وتقاليدها وأنماط عيشها بهدف

النهوض بها والعمل على تنميتها لتســـاير ركب المجتمعات المتطورة. (هاجر، ٢٠٢١، ص.٦٩)

– يهتم البحث الكيفى بدراســة الســلوك الإنســانى من أجل فهمه ومحاولة بناء نظرية بشأنه، كما يؤكد أن هذا السلوك مرتبط بالبيئة التى يجرى فيها البحث، ويهتم بفهم الظاهرة من الإخباريين والحالات أنفسهم ومن خلال معايشة الباحث لحياتهم وتفاعلاتهم اليومية، ولا يهدف إلى التعميم بل توسيع نتائج الحالة المدروسة التى كثيرًا ما تقود إلى حالات قد تكون مشابهة.

– يؤكد البحث على أهمية تطوير المدرســـة الأنثروبولوجية التى اهتم روادها بإعداد جيل من الباحثين قاموا بإنتاج العديد من البحوث العلمية منذ الرعيل الأول في الثمانينيات (عثمان، ٢٠١٦، ص.٢١٥، ٢٤٦) وحتى وقتنا الراهن، فقد نشـــأ فيها الباحثين على المثابرة في العلم وتكونت لديهم مهارة العمل الميدانى، من خلال إجراء دراسـات ميدانية متعمقة تسـهم في تطوير الأساليب الكيفية والكمية والمناهج العلمية، والإبداع في التفسير والتحليل للكثير من الظواهر الاجتماعية والثقافية. فقد ســاهمت هذه المدرســة بفكر ومجهود علمائها وباحثيها في بنــاء إنتــاج علمى وحــدوث تراكم معرفى هــام في مســـيرة البحــث العلمى الاجتمــاعى والأنثروبولوجى والفولكلورى.

– تبين للباحثة من خلال التطبيقات العملية للمنهج الأنثروبولوجى، أن هذا المنهج يتميز بإكســاب الباحث مهارة جمع بيانات تفصــيلية أكثر غزارة وعمقًا على حد قول البعض: "الباحث يقدر من خلاله يجيب مَصـرين (أى ما بداخل الإنسـان) الميدان أو الواقع من مجتمع البحث الذى يدرسـه"؛ لأن الباحث يكون أداة مهمة وفعالة من أدوات هذا المنهج أثناء الدراسـة الحقلية.

– يؤكد البحث على أن الاهتمام بإجراء الدراســـات والبحوث الميدانية يعد من أهم دعائم المنهج الأنثروبولوجى، فالأنثروبولوجيا علم ميدانى تطور نفســها بنفســها وتســاير كل

التغيرات والتحولات التى تحدث في المجتمعات. كما أن المعارف التى تنتجها تلك المناهج هى معارف علمية تتســـم بالفهم والعمق وبالتالى ثراء البحث العلمى بالمعارف المتنوعة في قطاعاتٍ شتى.

– أوضـح البحث أن إنتاج الكثير من البحوث العلمية التى تستعين بأسلوب "المسح الأنثروبولوجى"، يمكن أن يكشــف النقاب عن غموض التفســير الكمى حتى وإن كانت أرقام وإحصـاءات بسيطة يستخدمها هذا المنهج؛ لأنه يتميز بجمع التفاصيل الناتجة عن المعايشة الميدانية للظاهرة المدروسة، كما يتميز بمرونته وأنه متكامل في استخدام أكثر من منهج وأداة يمكن أن تفيد في إجراء الدراســة الكيفية حســب الموضــوع والمجتمع أو المجتمعات محل الدراسة. وكل ذلك يطلق العنان في التفسير الناقد والإبداع البناء في البحث العلمى الذى يربو إلى إنتاج تراكم علمى ومعرفى عن المجتمعات وفهم ثقافاتها من واقع الدراســة الحقلية للكثير من الظواهر داخلها، ولا سيما ظاهرة الجريمة التى تتفشى في كل الأمكنة والأزمنة.

– انتهى البحث إلى التأكيد على أهمية المنهج الأنثروبولوجى الحقلى في دراســة الجريمة خاصـة في الريف لسببين هما: ندرة الإحصـاءات الرسمية عنها، وأيضًـا ما يتسم به هذا المنهج من العمق في دراســة ظاهرة الجريمة الريفية وفهمها من الداخل، حيث التفســير التأويلى لذوات الناس وفهم مشاعرهم وآرائهم حول هذه الظاهرة.

توصيات البحث:

– اهتمام الجهات المعنية بنتائج البحوث الأنثروبولوجية ووضــعها في حيز التطبيق بما يحقق هدف العلم والبحوث العلمية من تنمية المجتمع وتحقيق مصــالح أفراده. فيرى "كارلتون كون" في علم الأنثروبولوجيا واهتمامها بالمنهج الحقلى موضــوعًا مهمًّا، وأنه العلم الذى بيده مفتاح كرامة النوع الإنســانى؛ ولهذا يهيب بالعرب أن يدرســوا هذا العلم ويعنوا به

ليســـتعيدوا مجدهم العلمى الباهر الذى كان منطلق التقدم العلمى في العالم. (إســـماعيل، ١٩٨٢، ص.٥٤٤)

– الاهتمام بتخصص الأنثروبولوجيا في سوق العمل على المستوى المصرى والعربى ككل؛ لأنه من التخصـصـات الأكاديمية التى تهتم بفهم السـلوك الإنسـانى من كل جوانبه في الحياة، وإذا كانت نشأة هذا العلم الاستعمارية توضـح أن الاستعمار كان يعتمد على البحوث الأنثروبولوجية في فهم ثقافة المستعمرات بغرض الحصـول على منتجاتهم واسـتغلال أسـواقهم اقتصـاديًا وثقافيًا، فإن ذلك دليل على أهمية هذا العلم وأهمية الاسـتعانة بالمتخصـصـين فيه للعمل على تطوير المجتمع.

– تعزيز الخبرة الميدانية والاهتمام بتدريب الطلاب والباحثين على العمل الميدانى والدراســـات الحقلية التى تفيد في تقوية دعائم المنهج الأنثروبولوجى، وتحقيق تقدم كل من البحث العملى (الميدانى) والبحث العلمى (إنتاج المعارف).

– إجراء مزيد من البحوث والدراسـات التى تعتمد على مناهج البحث الكيفى، وبشـكل خاص الدراسـات الحقلية التى تسـتخدم المنهج الأنثروبولوجى بأسـلوب الدراسـة الشـاملة أو "المسـح الأنثروبولوجى"، مما يسـاعد على تنامى هذا الأسـلوب في البحوث الأنثروبولوجية لتحقيق مزيدًا من العمق والدقة في النتائج، خاصـة في وقتنا الحالى الذى سـيطرت عليه ثقافة العولمة والتطورات التكنولوجية وتطبيقات الذكاء الاصـطناعى في مؤسـسـات التعليم والبحث العلمى.

قائمة المراجع:

١- أحمد، أحمد عطية، وموســـى، محمد فتحى على، (٢٠١٩)، اتجاهات أعضاء هيئة التدريس في كلية التربية جامعة نجران نحو استخدام مناهج البحث الكيفى في البحوث التربوية، مجلة العلوم التربوية والنفسية، مج ٣ (ع ٢٤)، ص ٧٨ – ١٠٠.

٢- إدجار، أندرو، وسـيدجويك، بيتر، (٢٠١٤)، *موسـوعة النظرية الثقافية: المفاهيم والمصطلحات الأساسية*، ط١، ترجمة (هناء الجوهرى)، القاهرة، المركز القومى للترجمة.

٣- إسماعيل، زكى محمد، (١٩٨٢)، المنهج الأنثروبولوجى والدعوة الإسلامية، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، ع ٦، ص ٥٣٤ – ٥٦٩.

٤- التميمى، خليفة إبراهيم عودة، (٢٠٠٤)، واقع الجريمة في الريف دراســـة ميدانية في محافظة ديالى، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، العراق.

٥- الجوهرى، محمـد، زايـد، أحمـد، (٢٠٠١، ٢٠٠٣)، الإنتـاج العربى في علم الاجتماع: قائمة ببليوجرافية مشـــروحة، المجلد الأول (١٩٢٤ – ١٩٩٥)، والثانى (١٩٩٥ – ٢٠٠٠)، مركز البحوث والدراسات العربية، كلية الآداب، جامعة القاهرة.

٦- الخباز، زين العابدين، (٢٠٢١)، أضـــواء على بعض اهتمامات الأنثروبولوجيا ابتداء القرن التاسع عشر، مجلة أنثروبولوجيا، مج ٧ (ع ٢)، ص ١٤٠ – ١٥٧.

٧- الشرقية أون لاين: مصر في أرقام، تقدير أعداد السكان طبقًا للمحافظات: حضر وريف، ٢٠١٠/٧/١.

٨- المحمودى، محمد سرحان على، (٢٠١٩)، *مناهج البحث العلمى*، ط٣، صنعاء، الجمهورية اليمنية، دار الكتب.

٩- بدوى، أحمد زكى، (١٩٩٣)، *معجم مصـــطلحات العلوم الاجتماعية*، بيروت، مكتبة لبنان.

١٠- بن عمروش، فريدة، (٢٠٢٠)، المقاربة الكمية والكيفية في ضـــوء التجربة البحثية في علوم الإعلام والاتصال، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج ١٢ (ع ٣)، ص ٢٩٣ – ٣١٠.

١١- بيبر، شـــارلين هس، وليفى، باتريشـــيا، (٢٠١١)، *البحوث الكيفية في العلوم الاجتماعية*، ط١، ترجمة (هناء الجوهرى)، القاهرة، المركز القومى للترجمة.

١٢- جيدنز، أنتونى، (٢٠٠٠)، *قواعد جديدة للمنهج في علم الاجتماع*، ترجمة (محمد محيى الدين)، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة.

١٣- حجازى، عزت، (٢٠٠٧)، التحليل الكيفى في البحث الاجتماعى، المجلة الاجتماعية القومية، مج ٤٤ (ع ٣)، ص ١ – ٣١.

١٤- حجازى، أحمد مجدى، وأخرون (٢٠٠٦)، *تطور بحوث الجريمة في المجتمع المصـــرى خلال الفترة (١٩٥٢ – ٢٠٠٢)، التقرير الأول والثانى*، القاهرة، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية.

١٥- حجر، خالد أحمد مصطفى، (٢٠٠٣)، معايير شروط الموضوعية والصدق والثبات في البحث الكيفى دراســـة نظرية، مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والاجتماعية والإنسانية، مج١٥ (ع٢ يونيو/ جمادى الأولى)، ص ١٣١ – ١٥٤.

١٦- حجر، خالد أحمد مصطفى، (٢٠٠٩)، أخلاقيات البحث الأنثروبولوجى المرامى والعقبات ومتطلبات الالتزام الفعال، مجلة جامعة أم القرى للعلوم الاجتماعية، مج١ (ع٢ يوليو/ رجب)، ص ١٢ – ٧١.

١٧- حلوش، مصـــطفى، (٢٠١٤)، التحليل الاســـتقرائى للبيانات الكيفية لمقابلة بحثية، مجلة سلوك، ع١، ص ٢٨ – ٣٧.

١٨- خـالد، خوانى، (٢٠٢١)، المنهج الأنثروبولوجى وأدواته بين النظرى والتطبيق، مجلة الشامل للعلوم التربوية والاجتماعية، مج ٤ (ع ٢)، ص ٣٧٦ – ٣٩٢.

١٩- خلالفة، زينب، (٢٠٢١)، الإثنوغرافيا من العالم الواقعى إلى العالم الافتراضـى، مجلة العلوم الإنسانية، مج ٨ (ع ١ مارس)، ص ٢٩٣ – ٣١١.

٢٠- خميس، محمـد عطيـة، (٢٠٢٠)، *اتجـاهـات حـديثـة في تكنولوجيـا التعليم ومجالات البحث فيها*، ج١، ط١، مدينة ٦ أكتوبر، مصر، المركز الأكاديمى العربى.

٢١- درنونى، سـليم، (٢٠١٥)، العمل الحقلى في البحث الأنثروبولوجى تحليل إبسـتمولوجى لتجربة ميدانية، المجلة العربية للدراسات الأنثروبولوجية المعاصرة، (ع ٢ سبتمبر)، ص ٦٨ – ٩٣.

٢٢- دليو، فضـيل، (٢٠٢٢)، *البحوث الكيفية الأسس والمناهج*، ط١، قسنطينة، الجزائر، ألفا للوثائق.

٢٣- رياض، مروة حمدى سعد، (٢٠٠٢)، الجرائم في المجتمع الريفى – دراسة سوسيولوجية لقرية طهواى مركز السـنبلاوين بمحافظة الدقهلية، رسـالة ماجسـتير غير منشـورة، جامعة المنصـورة، مصر.

٢٤- سـبيلا، محمد، والهرموزى، نوح، (٢٠١٧)، *موسـوعة المفاهيم الأسـاسـية في العلوم الإنسانية والفلسفة*، ط١، المغرب، المركز العلمى العربى للأبحاث والدراسات الإنسانية.

٢٥- سـكوت، جون، ومارشـال، جوردون، (٢٠١١)، *موسـوعة علم الاجتماع*، ج١، ط٢، ترجمة (محمد الجوهرى وآخرون)، القاهرة، المركز القومى للترجمة.

٢٦- سميث، شارلوت سيمور، (٢٠٠٩)، *موسوعة علم الإنسان: المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية*، ط٢، ترجمة (علياء شكرى وآخرون)، القاهرة، المركز القومى للترجمة.

٢٧- شكرى، علياء، (٢٠١٩)، الفيلم الإثنوجرافى رؤية نقدية، تحرير وإشراف (محمد الجوهرى وهناء الجوهرى)، *الأنثروبولوجيا التطبيقية*، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ص ١٤٠ – ١٥٢.

٢٨- طلبه، أشرف مصطفى، (٢٠٠٨)، جرائم العنف في قرى صعيد مصر دراسة اجتماعية أيكولوجية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة عين شمس، مصر.

٢٩- عاشور، محمد عبده أحمد السيد، (١٩٩٢)، جغرافية الجريمة في محافظة الشرقية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الزقازيق، مصر.

٣٠- عبد الحميد، آمال، (٢٠٠٧)، الإحصاء في المنهج الأنثروبولوجى قضايا منهجية ورؤية نقدية، تحرير (محمد الجوهرى وعلياء شكرى)، *مقدمة في دراسة الأنثروبولوجيا*، د.ن، ص ٢٠٥ – ٢٣٦.

٣١- عثمان، سعاد، (٢٠١٦)، رؤية جيدة لتطوير المنهج الأنثروبولوجى مع تطبيقات عملية في دراسة الأنثروبولوجية الصحية، تحرير (محمد الجوهرى وهناء الجوهرى)، *مقدمة في الأنثروبولوجيا*، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ص ٢١٣ – ٢٤٨.

٣٢- عرقسوسى، أميرة عبد المجيد، (٢٠٢٢)، خطوات تصميم البحث الاجتماعى الكمى والكيفى دراسة نظرية مقارنة، مجلة الذاكرة، مج ١٠ (ع ٢ يونيو)، ص ٩١ – ١٠٩.

٣٣- عوض، مصطفى إبراهيم، (٢٠١٩)، دراسات حديثة في الأنثروبولوجيا البيئية، تحرير (محمد الجوهرى وهناء الجوهرى)، *الأنثروبولوجيا التطبيقية*، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ص ٦٢ – ٧٨.

٣٤- عوض، يسرى، (٢٠٠٦)، *ماهية الجريمة وتأصيلها الشرعى والقانونى*، القاهرة، مكتبة الأبحاث القانونية.

٣٥- غانم، إسلام عبد الله عبد الغنى، (٢٠١٨)، مناهج دراسة التراث عند المستشرقين: المنهج التاريخى، المنهج الوصفى، المنهج الأنثروبولوجى نموذجًا، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية، مج ٤ (ع ٢ ديسمبر)، ص ٣١ – ٥٦.

٣٦- غانم، عبد الله عبد الغنى، (٢٠٠٤)، *طرق البحث الأنثروبولوجى*، ط١، الإسكندرية، المكتب الجامعى الحديث.

٣٧- غدنز، أنتونى، (٢٠٠٥)، *علم الاجتماع*، ط٤، ترجمة (فايز الصباغ)، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، مؤسسة ترجمان، مركز دراسات الوحدة العربية.

٣٨- قودلييه، موريس، (٢٠١٦)، الميدان وأدوات الأنثروبولوجى، ترجمة (مبروك بوطقوقة)، المجلة العربية للدراسات الأنثروبولوجية المعاصرة، (ع ٤ سبتمبر)، ص ١٦١ – ١٧٠.

٣٩- كوبان، جان، (٢٠٠٧)، المسح الأثنولوجى الميدانى، ط١، ترجمة (جهيدة لاوند)، بيروت، معهد الدراسات الاستراتيجية.

٤٠- لايدر، ديرك، (٢٠٠٠)، *قضايا التنظير في البحث الاجتماعى*، ترجمة (عدلى السمرى)، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة.

٤١- لطاد، ليندة، وأخرون، (٢٠١٩)، *منهجية البحث العلمى وتقنياته في العلوم الاجتماعية*، ط١، برلين/ألمانيا، المركز الديمقراطى العربى للدراسات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية.

٤٢- لكحل، فاطمة، وضـــريبى، هاجرة، (٢٠٢١)، واقع البحث العلمى في الجامعة الجزائرية دراســة وصــفية تحليلية في بعض رســائل الماســتر، *وقائع المؤتمر الدولى (البحث العلمى في العلوم الإنســـانية والاجتماعية في الوطن العربى الرهانات والمعيقات)*، ج١مارس، برلين/ألمانيا، المركز الديمقراطى العربى، ص ١٧٣ – ١٨٥.

٤٣- ماتيوز، بوب، وروس، ليز، (٢٠١٦)، *الدليل العملى لمناهج البحث في العلوم الاجتماعية*، ط١، ترجمة (محمد الجوهرى)، القاهرة، المركز القومى للترجمة.

٤٤- محمد حافظ دياب، /أحمد-أبوزيد-رائد-البحث-الميدانى

/https://www.aranthropos.com

٤٥- مخيمر، شاهيناز، (٢٠١١)، البحوث الكيفية ودورها في رصد أوضاع العمل الخيرى، مجلة مداد لدراسات العمل الخيرى، مج١ (ع٢ يناير)، ص ١٦٥ – ١٧٧.

٤٦- مرسى، نادية عبد القادر محمد، (٢٠١٥)، الجريمة في الريف المصرى بين الضبط الاجتماعى والواقع دراســة أنثروبولوجية لبعض قرى محافظة الشــرقية، رســالة دكتوراة، جامعة عين شمس، مصر.

٤٧- هاجر، بغالية، (٢٠٢١)، واقع البحوث الأنثروبولوجية بين نتائج الرسائل الأكاديمية والتنمية دراســة ميدانية لظاهرة الصــحة والمرض، وقائع المؤتمر الدولى (البحث العلمى في العلوم الإنســانية والاجتماعية في الوطن العربى الرهانات والمعيقات) ج٢مارس، برلين/ألمانيا، المركز الديمقراطى العربى، ص ٥٨ – ٧٢.

48- C. Deller, Steven & A. Deller, Melissa, (2010), Rural Crime and Social Capital, Growth and Change, Journal Compilation, Vol. 41, No. 2.

49- Chainey, Spencer & Ratcliff, Jerry, (2005), GIS and Crime Mapping, John Wiley & Sons, Ltd.

50- Duggan, Mark, (Oct 2001), More Guns, More Crime, The Journal of Political Economy, Vol. 109, No. 5, The University of Chicago Press.

51- McCullagh, Ciaran, (1999), Rural Crime in the Republic of Ireland, University of Wales, Press Cardiff.

52- P. Mears, Daniel, et al, (2007), Opportunity Theory and Agricultural Crime Victimization, the Rural Sociological Society.

53- https://fb.watch/dsJgnt0TUj/ #سلسلة_ندوات_كاتب_وكتاب

.

The Anthropological Approach and Qualitative Studies - the Study of Crime as a Model

Abstract:

This research drives at spotlighting the developments that qualitative approaches have gone through in conducting field studies, and the anthropological approach in particular. This approach is characterized by examining a limited number of local communities. But with the development of scientific research and its methods, it has become possible to conduct surveys on large samples of these societies in what is known as "holistic anthropological study of society" it is not implemented through questionnaires and statistics, but by using case studies, in-depth interviews, observation, and so on. The idea of the research came from the researcher's doctoral thesis on (Crime in the Egyptian Countryside between Social Control and Reality: An Anthropological Study of Some Villages in Sharkia Governorate, 2015). The field study has been conducted in 25 villages (the survey) and focused on the study of 3 villages (the depth), and the villages have been standardized into: semi-nomadic, traditional, semi-urban.

The research has come to many results, including: The anthropological approach with its tools and means is one of the most capable qualitative methods in achieving the researcher's coexistence in the field and collecting abundant data on a large scale. This approach enables the monitoring of many types of traditional and modern crimes that occurred in the villages during the period from (2009 - 2013), the period of lawlessness and chaos during the Revolution, as society has gone through turmoil in which it has been difficult to obtain official statistics on crime or monitor them from prisons and the police. Nevertheless, this approach has helped the researcher to monitor crimes from individuals closely related to their offenders, which confirms its ability and development in conducting qualitative studies and obtaining more accurate and in-depth results.

Descriptros:

: Qualitative Study - The anthropological Approach - Crime

The Anthropological Approach and Qualitative Studies - the Study of Crime as a Model

By

Nadia Abd-Elkader Mohamed Morsi
Lecture in the Department of Sociology
Specialty in Anthropology
Faculty of Women, Ain Shams University